SHIBLI NU'MANI, MUHAMMAD
al-Intiqad

الانتقاد

على

كتاب التمدن الاسلامی للفاضل جرجی زیدان

للشیخ الاستاذ شبلی النعمانی الهندی

اعتنی بطبعه

القارئ محمد عبد الولی بن العلامة الآسی المرحوم

طبع

فی مطبعة آسی پریس الکائنة فی محمود نگر لکنو

سنه ۱۹۱۲ء

جدول اصلاح ما وقع فی طبع هذا الکتاب من الخطأ والتصحيف

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
١	٧	رسایه	رسایسه	٧	١٣	هذه الصنيعة	هذا الصنيع
٢	١	من	.	״	٤	لترويح	لترويج
״	١٣	الخزانة	خزانة	״	٥	تصيب	يصيب
٣	١٤	حمّلتُ	حملت	״	٩	تغير	تغيير
״	١٥	ليس	ليست	٩	٢	بذررهم	بذورهم
״	١٧	اتبز	ابتزّ	״	٩	مهدى	المهدى
٤	١	عرب	عرب				
״	١٣	يحرّمون	يجرمون	״	١٣	عرب	عربي
٥	١٥	امثلةٌ	امثلةً	״	١٤	عراب	عرابي
٦	٢	به	بهم	١٠	٥	كوفة	الكوفة
״	٤	ابن وقاص	ابن ابي وقاص	״	٨	كوفة	الكوفة
״	٦	حيرة	الحيرة	״	״	قضايه	قضائه
״	١٤	وترميه	وترميهم	״	״	استنكفوا	الاستنكفوا

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
۱۰	۱۲	لایبایع	لانبایع	۱۵	۹	الهجیة	الهبجیة
۱۲	۲	ولدا	ولدًا	۱۶	۱۶	یلایم	تلایم
″	۸	مرزولین	مرذولین	″	″	الطبعیْ	الطبیعی
″	۱۰	المَل	الکمل	۱۸	۱۰	بادئ الظلم	بادئ بالظلم
″	۱۶	یمن	الیمن	″	۱۶	لرمتها	لرمّها
۱۲	۶	الموالی	من الموالی	۱۹	٤	اعتذارا	بالاعتذار
″	۱۰	المسایل	المسائل	″	۸	مسایل	مسائل
″	١٤	تعذر	تعذرت	۱۹	۱۱	رمته	رمّه
″	۱۶	حسن	الحسن	″	۱۶	ولله للمروان	ولي لمروان
۱۳	۱	یکون	تکون	۲۰	۱۵	بها	له
″	٤	المسایل	المسائل	″	۱۶	الموثوقة	الموثوق
″	۱۲	یمن	الیمن	″	۱۷	یکن	تکن
١٤	۱	حجاج	الحجاج	۲۱	۳	المراد	مراد
″	له	عقد الفرید	العقد الفرید	″	۶	نال	نالت
۱۵	۵	مرزولین	مرذولین	۲۲	۱	انمختلفة	المختلفة

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
〃	١٣	لعلج	العلج	〃	١٥	اليه	اليها
〃	١٢	الوليدُ	الوليدَ	〃	٢٨	طايفة	طائفة
٢٣	١٥	دماءًا	دماءً	〃	١٠	ابالجلوس	بالجلوس
٢٤	٦	ساير	سائر	〃	١٤	يخترئ	بحترئ
〃	٧	يسر	بسر	٣٠	٢	اجترءت	جترأت
〃	٦	الموثوقة	الموثوق	〃	٦	امية	مية
٢٦	٢	يستشن	يستثن	〃	١٠	نتايج	نتائج
〃	٤	باس	بأس	〃	〃	ساير	سائر
〃	٥	كان	كانت	٣١	١١	الكلام	للكلام
〃	〃	رافعا	رافعة	〃	١٢	احداً	واحداً
〃	〃	هادما	هادمة	٣٢	٢	للقريش	لقريش
〃	١٧	صنيعة	صنيع	٣٣	١	ليتس	ليس
٢٧	١	القايم	القائم	〃	٢	زياد	زياداً
〃	٨	قايمة	قائمة	〃	٧	ليتس	ليس
〃	١١	ثم قال"	قال" ثم	〃	١١	وسبيلة	وسيلة

صفحه	سطر	خطأ	صواب
〃	۱۳	الجزيّة	الجزية
〃	۱۵	السلامهم	اسلامهم
〃	۱۶	الجزيّة	الجزية
〃	〃	يكن	تكن
〃	〃	شئ	شيئا
۳۵	۱	عمال	عمّالا
〃	۳	لحرب	الحرب
〃	۸	نی	فی
〃	۱۶	البّ	تألّب
〃	۱۷	فتلوه	قتلوه
۳۶	۲	اشرس	الاشرس
〃	〃	اشرس	الاشرس
〃	۱۵	الجزير	الجزية
۳۷	۲	المؤلف	للمولف
〃	۱۳	لااجتراء	الاجتراء

صفحه	سطر	خطأ	صواب
۳۸	۱	الان	الاف
〃	۵	الوهبة	الرهبنة
〃	۷	ولكن	لكن
〃	۹	اليه هذا البحث	خاتمة هذا البحث
〃	۱۸	اهتدنا	اهتدينا
۳۸	۱۹	خياناتها	خياناته
〃	۲۰	التغئير	التغيير
۳۹	۵	اناشدك بالله	اناشدك الله
〃	۷	شاو	شأو
〃	۱۵	العرب	عرب
〃	〃	العرب	عراب
۴۰	۶	صح نوع	بنوع
〃	۸	المعاوثة	معاونة

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
٤٠	١٣	انظروه	انظروا	٤٧		نعوذا	نفوذا
〃	١٦	حوايج	حوائج	〃	١	المودبين	المؤدبين
٤١	١٠	لملك	الملك	〃	١٣	التصحيح في	التصحيف في
〃	١٥	حنفية	الخفية	٤٩	٣	رجأ	رجاء
〃	١٦	كفاءة	كفاية	〃	٥	استودعت	استيداعها
٤٢	١	هذه	هذا	〃	١٥	يوميذ	يومئذ
〃	٥	خلفايهم	خلفائهم	٥٠	٣	مدونوا	مدونو
〃	٦	سوال	سوآل	〃	٤	فقد	·
٤٣	١	المودبين	المؤدبين	〃	١٢	يزيد عبد	يزيد بن عبد
〃	٥	ضرب	ضربت	٥١	٨	سالة	سأله
٤٤	٥	هنا	هناك	〃	١٠	الماضيين	الماضين
〃	١٥	الذين	ثان الذين	٥٢	١٣	الغلمين	العلمين
〃	٩	بيعة	سعة	٥٣	٧	اذا	واذا
٤٥	٨	صهاديج	صهاريج	٥٤	١٣	موسس	مؤسس
〃	٥	الف	آلاف	〃	١٤	تضئيقا	تضييقا

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٥٥	١	انتها	انتبه
״	٤	ذهب	ذهبت
״	٧	القران	القرآن
״	١٥	النصبغ	التصبغ
٥٦	١	يوموهم	بأموهم
״	٤	من	عن
٥٧	٦	ساموها	ساموهم
״	٨	مواضع	موضع
״	١١	انفهم	إنوفهم
״	١٤	تشمأزعنها	تشمأزمنها
٥٨	٢	سجنوهم	سجنوا
״	״	عذبوهم	عذبوا
״	٤	تفتخربها	يفتخربها
״	٧	خاب	خابت
״	״	يكادلا	لايكاد

صفحه	سطر	خطأ	صواب
״	١٣	اضطهدوا على	اضطهدوا
״	١٤	يوبه	يؤبه
״	١٦	امرة	امرءة
٥٩	١	باحراج	باخراج
״	٨	بهدم	هدم
״	١٣	الخزانة	خزانة
٦٠	٣	تضريح	تصريح
״	١٢	موثوقين	موثوق
״	١١	مّا	ما
٦١	١	محوبها	محوها
	،	ايضاجا	ايضاحه
״	٢	هذا	ذلك
״	١١	قرءة	قراءة
״	١٠	الاينجيل	الانجيل
٦٢	٢	آلتشوقوا	تشوقوا

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
٦٢	١٧	بالاخبا	بالاخبار	″	١٠	لسان الاردو	اللسان الاردوی
٦٢	٥	ن المسئلة	كانت المسئلة	″	″	احدمن اهل	احد اهل
٦٤	١٠	بن اسلام	بن سلام	″	١١	شطرُ	شطرٌ
٦٥	١	عمووالوری	عمق السواری	″	١٥	الموثوقة	الموثوق
″	٩	يكن	تكن	٧٢	١	كان ضاعت	ضاعت
	١١	يتصل	تتصل	″	٧	عليهم	علمهم
	١٣	يكون	تكون	″	١٣	المصر	مصر
٦٦	٣	اخبار	الاخبار	٧٣	٥	تقئيد	تقييد
٦٧	١٣	صار	صارت	٧٤	١٤	فراينا	فرأينا
٦٩	٩	امبراطورة	امبراطرة	٧٤	١٧	لنصارى اهل الشام	نصارى الشام
″	١٧	لو	ان	٧٥	٣	التضئيق	التضييق
٧٠	٩	وشام	والشام	″	٦	الموثوقة	الموثوق
″	١١	حيا	حا	″	١٦	يجزونهم	يخبرونهم
″	١٣	ما	صا	٧٦	٩	مرجاة البضاعة	بضاعة مزجاة
٧١	١	الخزانة	خزانة	″	١٠	اسماعًا	اسماءً

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
٧٦	١٧	المالك	مالكا	٧٨	٨	الابراهيم	لابراهيم
〃	〃	محمد	احمد	٧٩	١٢	وجها	وجهها
٧٧	٩	سبحنه	سجنه	〃	١٤	بخليع	بخلع
٧٨	١٣	نسخته	نسخة	٨٠	١٢	من احد	احد
٧٨	٨	الحماد	لحماد	〃	١٦	فاخذ	اخذ

النص القاطع في هذا البحث

ذكر ابو العبّاس المبرّد في كامله ما هو قول فصل في هذا الباب لا يدع مجالا للريب - ولا متسعًا للشك، قال

"وانما ذكرنا هذا لتقدم قريش في اكرام مواليها، ولّى رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش موتة زيدًا مولاه... وامّر رسول الله اسامة بن زيد فبلغه ان قوما قد طعنوا في امارته فقال لقد طعنتم في امارة ابيه وقد كان لها اهلا وان اسامة لها لاهل وقالت عائشة لو كان زيد حيًا ما استخلف رسول الله غيره وقال عبد الله بن عمر لابيه لم فضلت اسامة عليّ وانا وهو سيّان فقال كان ابوه احب الى رسول الله من ابيك وكان احبّ الى رسول الله منك واوصى رسول الله بعض زواجه لتميط عن اسامة اذى من مخاط او لعاب فكانها تكرهته فتولى منه ذلك رسول الله.... وكان ادّى الى بني قريظة مكاتبة سلمان فكان سلمان مولى رسول الله فقال علي بن ابي طالب رض سلمان منا اهل البيت، ويروى ان المهديّ نظر اليه وبيد عمارة ابن حمزة في يده فقال له رجل من هذا يا امير المومنين فقال اخي وابن عمي عمارة بن حمزة فلمّا ولّى الرجل ذكر ذلك المهديُّ كالمازح لعمارة فقال له عمارة انتظرت ان تقول "ومولاي" فانفض والله يدك من بين يدي فتبسم امير المؤمنين المهدي ولم يكن الاكرام للموالي في جفاة العرب زعم الليثي انه كانت بين جعفر بن سليمان وبين مسمع بن كردين منازعة وبين يدي مسمع مولى له، له بهاء ورواء ولسن فوجّه جعفر مولى له لينازعه ومجلس مسمع حافل فقال زانصفني والله جعفر انصفته وان حضر حضرت معه وان عند عن الحق عندت عنه وان وجّه اليّ مولى مثل هذا وومأ الى مولى جعفر فقال مولى مثل هذا عاضًّا

لما يكره وتجهت اليه واوما الى مولاه فعجب اهل المجلس من وضعه مولاه ذلك الذى فضل
تبها بمثله العرب وقيل للرجل لابيه والمولى لمواليه وفى بعض الاحاديث ان المعتق من
طينة المعتق ويروى ان سلمان اخذ من بين يدى رسول الله تمرة من تمرات الصدقة
فوضعها فى فيه فانتزعها رسول الله فقال يا اباعبدالله انما يحل لك من هذا ما يحل لنا
ويروى ان رجلا من موالى بنى مازن يقال له عبدالله بن سليمان وكان من جلة الرجال
نازع عمرو بن هداب المازنى وهو فى ذلك الوقت سيد بنى تميم قاطبة فظهر عليه المولى
حتى اذن له فى داره فادخل الفعلة دار عمرو فلما قلع من سطحه سافا كف عنه ثم
قال يا عمر قد اريتك القدرة وسأريك العفو وقد كان فى قريش من فيه جفوة
ونبوة كان نافع بن جبير احد بنى نوفل بن عبد مناف اذا مر عليه بالجنازة سال عنها
فان قيل قريش قال واقوماه وان قيل عربى قال وامادتاه وان قيل مولى وعجمى قال
اللهم هم عبادك فاخذ منهم من شئت وتدع ويروى ان ناسكا من بنى الهجيم بن عمرو
بن تميم كان يقول فى قصصه اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالى عامة فاما العجم فهم
عبيدك والامر اليك وقال الاصمعى قال سمعت اعرابيا يقول لاخ اترى هذه العجم
تنكح نساءنا قال ارى ذلك والله بالاعمال الصلحة قال توطأوا والله رقابنا قبل
ذلك" انتهى (صفحة ١٠، و ١١، و ١٢، طبع اوريا)

تدل هذه النصوص على امور:

١ـ ان اكرام الموالى كان من ديدن العرب عامة وقريشها خاصة۔

٢ـ لم يكن الاكرام للموالى واكثرهم العجم عند جفاة العرب ونباتها كما لم يكن الاكرام للعرب عند الشعوبية واكثرهم العجم۔

٣ـ كان نافع بن جبير وامثاله من جفاة العرب فلا يصح الاستدلال باقوالهم على
استحقار العرب للموالى والعجم كما لا يسوغ الاستدلال باقوال علان وامثاله على ازدراء العجم للعرب۔

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوٰة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه اجمعين

ان الدهر دار العجايب، ومن احدى عجايبه ان رجلا من رجال العصر يؤلف فى تاريخ تمدن الاسلام كتابا يرتكب فيه من تحريف الكلم وتمويه الباطل وقلب الحكاية والخيانة فى النقل، وتعمد الكذب، ما يفوق الحد، ويتجاوز النهاية، وينتشر هذا الكتاب فى مصر وهى غُرّةُ البلاد وقبة الاسلام ومغرس العلوم ثم يزداد انتشاراً فى العرب والعجم ومع هذا كله لا يتفطن احد لدسايسه ان هذا الشئ عجاب، لم يكن المرء ليجترى على مثل هذه الفظيعة فى مبتدأ الامر ولكن تدرّج الى ذلك شيئاً فشيئاً فانه اصدر الجزء الثانى من الكتاب وذكر فيه مثالب العرب دسيسةً يتطلع بها على حساس الامة وعواطفها ولما لم يتنبه لذلك احد ولم ينبض لاحد عرقٌ وَوَجَد الجوّ صافياً ارخى العنان وتمادى فى الغىّ واسرف فى النكاية بالعرب عموماً وخلفاء بنى امية خصوصاً۔

وكان يمنعنى عن النهوض الى كشف دسايسه اشتغالى بامر ندوة العلماء

ولكن لما عمّ البلاءُ وتوسّع الخرقُ وتفاقم الشر لم اطق الصبر فانفلتُّ مِنْ
مِن اوقاتی ایّامًا وتصدیت للكشف عن عوار هذا التألیف والا بانة عما فیه
من انواع الافكِ والزورِ واصناف التحریف والتدلیس،

معذرة الی المؤلف

انی ایُّها الفاضل المولف غیر جاحد لمنتك فانك قد نوهت
باسمی فی تالیفك هذا وجعلتنی موضع الثقة منك واستشهدت باقوالی و
نصوصی ووصفتنی بكونی من اشهر علماء الهند مع انی اقلهم بضاعة واقصرهم
باعًا واخملهم ذكرا ولكن مع كل ذلك هل كنت ارضی بان تمدحنی وتهجو العرب
فتجعلهم غرضا لسهامك ودریة لرمحك ترمیهم بكل معیبة وشین وتعزو الیهم
كل دنیّة وشر حتی تقطعهم اربا اربا وتمزّقهم كل ممزق وهل كنت ارضی بان تجعل
بنی امیة لكونهم عربا بحتا من اشر خلق الله واسوئهم یفتكون بالناس ویسومونهم
سوء العذاب ویهلكون الحرث والنسل یقتلون الذریة وینهبون الاموال و
ینتهكون الحرمات ویهدمون الكعبة ویستخفُّون بالقرآن،

وهل كنتُ ارضی بان تنسب حریق الخزانة الاسكندریة الی عمر
ابن الخطاب الذی قامت بعدله الارض والسماء وهل كنت ارضی بان تمدح
بنی العباس فتعدّ من احدی مفاخرهم انهم نزّلوا العرب منزلة الكلب حتی ضُرب
بذلك المثل وان المنصور بنی لقبة الخضراء ارغامًا للكعبة وقطع المیرة عن الحرمین
استهانة بهما وان المأمون كان ینكر نزول القرآن وان المعتصم بالله انشأ كعبة

فی سامرا وجعل حولها طوافا واتخذ منی وعرفاتٍ۔

وهب انی عدمت الغیرة علی الملة والدین وافتخرت کصنیع بعض الاجانب بانی فلسفی بحت عادمٌ لکل عاطفةٍ ووجدان فلا ارضی ولا اغضب ولا اسر ولا اغتاظ ولا افرح ولا اتألم وهب انی حمّلت نفسی علی احتمال الضیم وقبول المکروه والصمم عن البذاء ومجازاة السیئة بالحسنة ومکافاة الخبیث بالطیب فهل کنت ارضی بان تُشوه وجه التاریخ وتدمغ الحق وتروّج الکذب وتفسد الروایة وتقلب الحقیقة وتنفق التُّهم وتعود الناس بالخرافة۔ بئس ما زعمت ایها الفاضل فان فی الناس بقایا وان الحق لا یعدم انصارا

إنّ الغایة التی توخّاها المؤلف لیست الا تحقیر الامة العربیة وابداء مساویها ولکن لمّا کان یخاف ثورة الفتنة، غیّر مجری القول ولبّس الباطل بالحق بیان ذلک انه جعل لعصر الاسلام ثلثة ادوارٍ دور الخلفاء الراشدین ودور بنی امیة ودور بنی العباس، فمدح الدور الاول وکذلک الثالث (ظاهرا لا باطنا کما سیجیٔ) ولمّا غرّ الناس بمدحه للخلفاء الراشدین وهم سادتنا وقدوتنا فی الدین وبمدحه لبنی العباس وهم ابناء عمّ النبیّ وبهم فخارنا فی بثّ التمدن وابهة الملک، ورأی انّ بنی امیة لیس لهم وجهة دینیة فلا ناصر لهم ولا مدافع عنهم تفرّغ لهم وحمل علیهم حملة شنعاء فما ترک سیئة الا وعزاها الیهم وما خلی حسنة الا وانتزعها منهم، ثم لو کان هذا لاجل انهم من آل مروان او لکونهم من سلالة

اُمیّۃ لکنّا فی غِنیً عن الذبِّ عنہم والحمایۃ لھم ولکن کُلّ ذنبھم انھم العرب علیٰ صرافتھم ما شابتھُم العجمیّۃُ مُطلقًا کما قال

"ویمتاز (ای دولۃ بنی امیۃ) عن الدولۃ العباسیۃ بانھا عربیۃ بحتۃ،، (الجزء الثانی من تمدن الاسلام)

"وجملۃ القول ان الدولۃ الامویۃ دولۃ عربیّۃ اساسھا طلب السلطۃ والتغلب،، (الجزء الرابع صفحۃ ۱۰۳)

عصبیۃ العرب علی العجم — اطال المولف واطنب فی اثبات ھذہ الدعوی فذکر طرفا منہ فی الجزء الثانی مدسوسًا (انظر صفحۃ ۱۸) ثم جعل لہ عنوانا خاصًّا فی الجزء الرابع (۵۸)

وھذہ نصوصہ،

"فان العرب کانوا یعاملونھم مُعاملۃ العبید"

"واذا صلوا خلفھم فی المسجد حسبوا ذلک تواضُعًا لِلّٰہ،

"وکانوا یُحرّمون الموالی من الکُنی ولا یدعونھم الا بالاسماء والالقاب ولا یمشون فی الصف معھم،

"وکانوا یقولون لا یقطع الصلوٰۃ الا ثلثۃ حمارٌ او کلبٌ او مولیً"

"فکان العربی یَعُدُّ نفسہ سیدًا علی غیر العربی ویری انہ خُلق للسیادۃ وذاک للخدمۃ"،

"فنوهم العرب فی نفسهم الفضل علی سائر الامم حتی فی ابدانهم وامزجتهم فکانوا یعتقدون انه لا یحمل فی سن الستین الا قرشیة۔ وان الفالج لا یصیب ابدانهم" "ومنعوا غیر العرب من المناصب الدینیة المهمة کالقضاء فقالوا لا یصلح للقضاء الا عربی وحرّموا منصب الخلافة علی ابن الامة ولو کان ابوه قرشیا، ولا یزوّجون الاعجمی عربیة ولو کان امیرًا وکانت هی من احقر القبائل"۔

"وکان الاُمویّون فی ایام معاویة یعدّون الموالی اتباعًا وارقّاء وتکاثروا فادرك معاویة الخطر من تکاثرهم علی دولة العرب فهمّ ان یأمر بقتلهم کلّهم او بعضهم"،

اعلم ان للمؤلف فی نفاق باطله اطوارًا شتّی،

فمنها تعمّد الکذب کما ستری،

ومنها تعمیمه لواقعةٍ جزئیة،

ومنها الخیانة فی النقل وتحریف الکلم عن مواضعها،

ومنها الاستشهاد بمصادر غیر موثقةٍ مثل کتب المحاضرات والفکاهات

وهاك امثلةً من کل نوع منها قال، "اذا صلوا خلفهم فی المسجد حسبوا ذلك تواضعًا لله وکانوا یحرمون الموالی من الکنی الخ" "وکانوا یقولون لا یقطع الصّلوٰة الا ثلثة" الخ۔

غیر خافٍ علی من له المام بتاریخ الفرس والعرب ان الفرس کانت قبل الاسلام تحتقر العرب وتزدری به ولما ارسل رسول الله صلی الله علیه وسلم کتابه الی کسری العجم اشمأزّ وقال عبدی یکتب الیّ وکتب یزدجرد الی سعد ابن وقاص فاتح القادسیه ان العرب مع شرب البان الابل واکل الضبّ بلغ بهم الحال الی ان تمنّوا دولة العجم فأفٍّ لك ایها الدهر الدایر و کانت ملوك حیرة تحت امرة ملوك العجم۔

ثم لما شرف الله العرب بالاسلام انتصفت العرب من العجم و استنکفوا من سیادتهم علیهم

وجاءت الشریعة الاسلامیة ماحیة لکل فخر ونخوة فقال رسول الله فی خطبته الاخیرة فی حجة الوداع ان لا فضل للعربی علی العجمی ولا للعجمی علی العربی کلکم ابناء ادم"

وحینئذٍ ارتفع التمایز وتساوی الناس ولکن مع ذلك بقیت فی بعض الناس من کلا الطرفین حزازات کامنة فی صدورهم کانت سبب الحدوث حزبین متقابلین یسمّی احدهما الشعوبیّة وهی التی تحتقر العرب وترمیه بکل معیبة حتّی ان اباعبیدة صنّف کتباً عدیدةً یطعن فیها علی انساب کل قبیلة من قبایل العرب، والثانی المتعصّبون للعرب وقد عقد العلّامة ابن عبد ربّه فی کتابه العقد الفرید باباً فی حجج کلا الطرفین

واقوالهما ومعظم ما نقله المؤلف فى اثبات عصبية العرب هى اقوال ذكرها صاحب العقد فى هذا الباب كما لوّح به المؤلف فى هامش الكتاب. واذا تصفحت الكتب يظهر لك ان الاقوال التى نسبها الى العرب عموماً انما هى اقوال شرذمة خاصة موسومة باصحاب العصبية وصاحب العقد حيثما ذكر هذه الاقوال صدّرها بقوله "قال اصحاب العصبية من العرب" وانت تعلم ان هذه العصبة ليست كافّة العرب ولا اكثرها بل لا عشر معشارها فانك سترى ان هؤلاء اناس شرذمة مغمورون فى الناس، ثم ان المؤلف ما اقتنع بذلك بل رُبّما نسب قول رجل مُعيّن معلوم الاسم الى العرب عامة،

فقال ناقلاً عن كتاب العقد "وكانوا يكرهون أنْ يصلوا خلف الموالى وَاذا صَلّوا خلفهم قالوا انّا نفعل ذلك تواضعاً لله" فان صاحب العقد نسب هذا القول الى نافع بن جبير فاخذه المؤلف وجعله قولاً عاماً للعرب وهذه الصنيعة اعنى تعميم الواقعة الجزئية هى اكبر الحيل التى يرتكبها المؤلف لترويج باطله بل هى قطب رحى تاليفه،

قال المؤلف "فادرك مُعاوية الخطر من تكاثرهم على دولة العرب فهمّ اَنْ يأمر بقتلهم كلهم او بعضهم" (الجزء الرابع صفحه ٥٩) ان نص معاوية الذى نقله المؤلف بعد هذه العبارة هو هذا، "كانّى انظر الى

وثبة منهم على العرب والسلطان فرايتُ اَنْ اَقتل شطرًا وَاَدَعَ شطرًا" فانتَ
ترى ان الرواية على تقدير صحتها ليس فيها الا ان معاوية راى ان يقتل
شطرًا منهم ولكن المولف زاد على العبارة وقال ان معاوية همّ ان
يا مر بقتلهم كُلّهِم:

قال المؤلف فكانوا يعتقدون ان الفالج لا تصيب ابدانهم" (الجزء
الرابع صفحة ٦٠)

استشهد فى هذه الدعوى بطبقات الاطباء كما لوّح فى هامش الكتاب
وايم الله لو كُنتَ تَقِفُ على عبارة الطبقات لوَقعتَ فى اشدِ حيرةٍ من اجتراء
المؤلّف على قلب الحكاية وتغير الرواية، ذكر صاحب الطبقات تحت ترجمة
عيسى الطبيب (الراجح انه نصرانى) انّ المهدى ضربه فالج فحضر المتطببون
وفيهم عيسى صاحب الترجمة فقال المهدى بن المنصور بن محمد بن على
بن عبد الله بن عباس يضربه فالج لا والله لا يضرب احدًا من هؤلاء
ولا نسلهم فالج ابدًا الا ان يبذر ابذورهم فى الروميات والصقلبيات
وما اشبههن"

قد نقل صاحب الطبقات بعد الحكاية المذكورة عن يوسف
الطبيب ان ابراهيم بن المهدى لما اعتلّ بعلة شبيهة بالفالج ودعا
يوسف وقال له ما العلة عندك فى عرض هذه العلة بى علمت انه كان حفظ

عن امه قول عيسىٰ ابی قریش فی المهدی و ولده انه لا یعرض لعقب الفالج الاان یبذروا بزورهم فی الرومیات وانه قد امّل ان یکون الذی به فالجاً لا عارض الموت، فقلتُ لا اعرف لانکارك هذه العلة معنًی اذا کانت اُمُّك التی قامت عنك دنباوندیة ودنباوند اشدُّ بردًا مِن کل ارضِ الرُّوم فکانه تفرج الی قولی وصدَّقنی واظهر السرور"،

فانت تریٰ ان الظن ببراءتهم عن الفالج انما کان مبناه حرَّ ارض العرب ولیس له ادنی مساس بشرف النسل ولو کان کما یتبادر الی الذهن من عدا اسماء اٰباء المهدی فهو یختص بعایلة النبی علیه السلام لا یفهم منه العموم مطلقا ولذلك لما ذکر لابراهیم (وهو ابن الخلیفة مهدی) ان اُمّه من دنباوند وهو اشدُّ بردًا من ارض الروم، ذهب عنه استغرابه عروض الفالج له،

فانظر کیف کان مجری الحکایة فغیّرها المؤلف وارتکب لذلك خیانات تتریٰ ثم ان هذا قول عیسیٰ الطبیب ولا یدریٰ انه عرب ام لا وغالب الظن انه نصرانیٌ وهب انه عرب فهو رجل من حاشیة الدولة یرید التزلف الی الخلیفة والتملق له فهل یکون قوله قول العرب کافّة

قال المؤلف "ومنعوا غیر العرب من المناصب الدینیة المهمة کالقضاء فقالوا لا یصلحُ للقضاء الا عربیٌّ" (الجزء الرابع صفحہ ٦) واَسْنَدَ هذه الروایة الی ابن خلکان

حقیقۃ ہذا القول ان الحجاج لما اسر سعید بن جبیر التابعی المشہور وکان من الموالی قال لہ ممتنا علیہ اما جعلتک اماماً للصلوٰۃ فی الکوفۃ ولم یکن فی الکوفۃ الا العرب قال ابن جبیر نعم ثم قال لہ الحجاج الیس انی لما اردت ان اولیک قضاء الکوفۃ ضج العرب وقالوا لا یصلح للقضاء الا عربی" وقد ذکر الروایۃ ابن خلکان بطولہا ولا یخفی علیک ان کوفۃ لم یکن اذ ذاک فیہا الا العرب وظاہر ان القضاء لا یصلح لہ الا من کان عارفا بعوائد الامۃ مطلعاً علی خصایصہم وکیفیۃ تعاملہم فیما بینہم وسعید بن جبیر لم یکن من العرب ولو کان استنکاف اہل کوفۃ من قضایہ لاجل کونہ من الموالی لاستنکفوا من امامتہ للصلوٰۃ فان الامامۃ اعظم شرفا وارفع محلاً من القضاء وہذا ابو حنیفۃ کان من الموالی وارادوا ان یولوہ القضاء فی عصر بنی امیۃ فامتنع ولم یرض بذلک وقد ذکر الواقعۃ ابن خلکان مفصلاً

قال المؤلف "وحرموا منصب الخلافۃ علی ابن الامۃ ولو کان قرشیاً"

نعم ولکن لم یکن ہذا للاستہانۃ بہ قال الاصمعی کانت بنو امیۃ لا یبایع لبنی امہات الاولاد فکان الناس یرون ان ذلک للاستہانۃ بہم ولم یکن لذلک ولکن لما کانوا یرون ان زوال ملکہم علی ید ابن ام ولد[1]" اما ما استدل بہ المؤلف من قول ہشام بن عبد الملک لزید بن علی

[1] انظر الجزء الثانی من العقد الفرید طبع مصر صفحۃ ٣٣٠

انك ابن امة ولذلك لاتصلح للخلافة فقد رد عليه زيدٌ وقال ان اسماعيل كان ولد الجارية وكان سيد البشر محمد من سلالته ومن المعلوم ان زيدا وهو ابن الامام زين العابدين ارفع شانا واعظم محلا واطيب ارومة واصدق قولا من هشام ثم لو كان هذا الامر حقا ما كانوا يولّون الخلافة يزيد بن الوليد الاموى ومروان الحمار وهما ابنا امة،

ولما فرغنا عن ابداء شطرٍ من خيانات المؤلف ليكون كالعنوان على دابه فى تاليفاته حان لنا ان نُحقق اصل المسئلة اى ان العجم والموالى هل كانوا اذِلّاء ساقطين مرذولين يعاملون معاملة العبيد فى عصر بنى امية كما يدعيه المؤلف اوكانوا بمحل من الشرف والعزّة يعترف لهم العرب بالفضل والسّودد ويوفى لهم او فى قسطٍ والمَلحق اعلم ان البلاد التى كانت عواصم الاقاليم وقواعدها فى عصر بنى امية هى مكة والمدينة والبصرة والكوفة واليمن ومصر والشام والجزيرة وخراسان وكان لكل هذه الاصقاع امامٌ يقودهم ويسود عليهم وهذه اسماءهم،

مكة المشرفة،	عطاء بن ابى رباح هو استاذ الامام ابى حنيفة
يمن	طاؤس،
الشام،	مكحول،

مصر،	يزيد بن ابی حبیب،
الجزيرة،	ميمون بن مهران،
خراسان،	ضحاك بن مزاحم،
البصرة	الامام الحسن البصری،
الكوفة،	ابراهيم النخعی،

وكل هؤلاء غير ابراهيم النخعی كانوا الموالی وبعضهم ابناء الاماء ومع كونهم اعجاماً وكونهم اولاد الاماء كانوا سادة الناس وقادتهم تذعن لهم العرب وتحترمهم خلفاء بنی امية وولاة الامر.

فاما عطاء بن ابی رباح فمع كونه ابن سندية كان شيخ الحرم واليه المرجع فی الفتوی وعليه المعوّل فی المسايل، قال ابن خلكان فی ترجمته قال ابراهيم بن عمرو بن كيسان اذكرهم فی زمان بنی امية يامرون فی الحج صايحا يصيح "لا يفتی الناس الا عطاء بن ابی رباح"، وهل يمكن ان ينادی بمثل ذلك من غير رضی الخلفاء واما طاؤس فلما قضی نحبه بمكة ازدحم الناس فی جنازته حتی تعذر الصلوة عليه وكان ابراهيم بن هشام اذ ذاك واليا علی مكة فاستعان بالشرطة ومشی فی جنازته عبد الله ابن الامام حسن عليه السلام واضعا نعشه علی عاتقه وصلی عليه الخليفة هشام بن عبد الملك الاموی ذكر كل هذا العلامة

ابن خلکان فی ترجمة طاؤس فهل یکون منزلة اعظم من ذلك،

واما مکحول الشامی فاحد الایمة المتبوعین وقال الزهری العلماء اربعة فلان وفلان ومکحول واما یزید بن ابی حبیب فهو الذی ارسله عمر بن عبد العزیز لیفقه الناس فی مصر ویفتیهم فی المسایل وهو المعلم الاول لهم کما صرح بذلك السیوطی فی حسن المحاضرة واما میمون بن مهران فمع فضیلته وسیادته کان امیرًا علی الخراج فی الجزیرة کما صرح به ابن قتیبة فی المعارف، اما حسن البصری فحدث عن البحر ولاحرج، یذعن له الملوك والسادة والقواد وعلیه المعوّل والیه المنتهی،

ذکر السخاوی فی شرح الفیة الحدیث للعراقی (طبع لکهنؤ صفحه ۳۹۰ و ۳۹۱) انّ هشامًا قال للزهری من یسود اهل مکة قال عطاء قال بم سادهم قال بالدیانة والرّوایة قال هشام نعم من کان ذا دیانة حُقّت الریاسة له ثم سأل عن یمن قال طاؤس وکذلك سال عن مصر والجزیرة وخراسان والبصرة والکوفة فاخذ الزُّهری یعدّ اسماء سادات هذه البلاد وکلّما سمّی رجلا کان هشام یسأل هل هو عربیّ ام مولًی وکان یقول الزهری مولًی الی ان اتی علی النخعی وقال انه عربی فقال هشام الآن فرجت عنی والله لیسودنّ الموالی العرب ویخطب لهم علی المنابر والعرب تحتهم"

انّ التابعین لهم اعلی محل فی تاریخ الاسلام — ورؤسهم

سعید بن جبیر وهو اسود وقد ولاه حجاج بن یوسف امامة الصلوٰة فی الکوفة کما ذکره ابن خلکان فی ترجمته والکوفة اذ ذاک جمجمة العرب وقبة الاسلام وهل یصح بعد ذلک دعوی المؤلف ان العرب کانت تستنکف عن الصلوٰة خلف الموالی،

وهذا سلیمان الاعمش استاد الثوری کان عبدا عجمیا وکان بمنزلة من العز والشرف انه لما کتب الیه الخلیفة هشام بن عبد الملک ان یکتب له مناقب عثمان ومساوی علیٍ اخذ کتاب هشام والقمه عنزا کان عنده وقال للرسول قل لهشام هذا جواب کتابک (ابن خلکان ترجمة الاعمش)

وهذا حمّاد الراویة الذی دوّن المعلقات وله المکانة الکبری فی الادب والشعر کان عبدا اسود وکانت ملوک بنی امیة تقدمه وتوثره وتستزیره کما ذکره ابن خلکان،

وهذا سالم بن عبد الله بن عمر کان ابن امة ولما دخل الخلیفة هشام بن عبد الملک المدینة ارسل الیه یدعوه فاعتذر فدخل علیه هشام ووصله بعشرة الاف ثم لما حج ورجع کان سالم اذ ذاک مریضا فذهب لعیادته ولما توفی صلی علیه وقال لا ادری بای الامرین انا اسر بحجتی ام بصلوتی علی سالم، سلم

سلم عقد الفرید ترجمة هشام بن عبد الملک،

ولو اخذنا فی تعداد امثال هذه الوقایع لطال الکلام وملّ الناظرون ویظهر مما مرّ علیك ان الموالی کانوا فی ایام بنی امیة باعلی محل من الشرف والمکانة وکانت العرب تذعن لهم وتقدّمهم وتقتدی بهم وترفع شأنهم، فهل یصح قول المؤلف بعد ذلك ان الموالی وابناء الاماء کانوا فی عصر بنی امیة مرذولین ساقطین یُزدری بهم ولا یقام لهم وزنٌ وکان العرب وبنو امیة یعاملونهم معاملة العبید،

مثالب بنی امیة

المقصد الذی جعله المؤلف نصب عینه ومرمی غایته هو ان الامة العربیّة اذا بقیت علی صرافتها فهی جامعة لجمیع اشتات الشر ای الجور والقسوة والهمجیّة وسفك الدماء والفتك بالناس ولکن لما کان لا یقدر علی اظهار هذا المقصد تصریحا احتال فی ذلك فغمّض المذهب جعل الکلام طیّب الظاهر وذلك بان قسّم عصر الاسلام الی ثلثة ادوار، فمدح سیاسة الخلفاء الرشدین وقال بعد مدحها.

> علی ان سیاسة الراشدین علی الاجمال لیست مما یلائم طبیعة العمران او تقتضیه سیاسة الملك وانما هی خلافة دینیة توقّفت الی رجال یندر اجتماعهم فی عصر، فاهل العلم للعمران لا یرون هذه السیاسة تصلح لتدبیر الممالك فی غیر ذلك العصر العجیب وان انقلاب تلك الخلافة الدینیة الی الملك السیاسی لم یکن منه بد (الجزء الرابع، صفحه ۳۰ و ۲۹)

فاثبت بذلك ان سياسة الخلفاء الراشدين ليست فيها اسوة للناس وانها من مستثنيات الطبيعة، اما دور العباسيين فمدحه ولكن لالاجل انه دولة عربيّة بل لكونها فارسية مادّة وقواماً موتلفاً ونظاماً وصرّح بذلك فقال "

دعونا هذا العصر فارسياً مع انه داخل فى عصر الدّولة العباسيّة لانّ تلك على كونها عربية من حيث خلفاءها ولغتها وديانتها فهى فارسيّة من حيث سياستها وادارتها لان الفرس نصروها وايدوها ثم هم نظموا حكومتها وادار و شيونها ومنهم وزرائها وامراؤها وكتابها وحجابها، (الجزء الرابع صفحه ١٠٦)

ثم اشار فى غير موضع انّ الدّولة العربيّة السّاذجة انما هى دولة بنى اُميه فقال،

" وجملة القول انّ الدّولة الاموية دولة عربية" (الجزء الرابع صفحه ١٠٢)

" وظل العرب فى ايام بنى امية على بداوتهم وجفاوتهم وكان خلفاءها يرسلون اولادهم الى البادية لاتقان اللغة واكتساب اساليب البدو وادابهم (الجزء الرابع صفحه ٦١)

ولما ثبت ان خلافة الراشدين لم تكن يلايم النظام الطبعى وانّ دولة بنى العباس دولة فارسية وانّ الباقى على صرافتها هى الدولة الاموية

اخذ يعدد مثالب بنی امیة تحت عنوانات مستقلة منها الاستخفاف بالدین واهله ومنها الاستهانة بالقرآن والحرمین ومنها الفتك والبطش ومنها قتل الاطفال ومنها خزانة الرؤس وانى فى مطاوى هذه العنوانات من الافك والاختلاق والتحریف والتبدیل بما تجاوز الحد وخرج عن طور القیاس والآن اذکر نبذا منها واکشف عن جلیة حالها،

الاستهانة بالقرآن والحرمین، قال المؤلف تحت هذا العنوان،

اما عبد الملك فكان یری الشدة ویجاهر بطلب التغلب بالقوة والعنف ولو خالف الدین،، لانه صرح باستهانة الدین منذ ولی الخلافة ... ذکروا انه لما جاءه بخبر الخلافة کان قاعدا والمصحف فی حجره فاطبقه وقال هذا آخر العهد بك او هذا فراق بینی وبینك فلا غرو بعد ذلك اذا اباح لعامله الحجاج ان یضرب الكعبة بالمنجنیق وان یقتل ابن الزبیر ویحتز راسه بیده داخل مسجد الكعبة،، وظلوا یقتلون الناس فیها ثلاثا وهدموا الكعبة وهی بیت الله عندهم واوقدوا النیران بین احجارها واستارها (الجزء الرابع صفحة ۷۰ و۷۹)

الحكایة علی الاجمال ان ابن الزبیر ادعی الخلافة فملك الحرمین والعراق وكاد یغلب علی الشام وكان امره کل یوم فی ازدیاد وبازائه بنو امیة فی الشام فلما تولی عبد الملك الخلافة ارسل الحجاج الی ابن الزبیر فحاصره ولاذ ابن الزبیر

بمکة فنصب الحجاج المنجنیق علی الزیادة التی کان زادها ابن الزبیر کما یجی تفصیله
یعرف کل من له ادنی المام بالتاریخ ان الحجاج ما اراد الا قتال ابن الزبیر
ولکونه لائذا بالکعبة اضطر الی نصب المنجنیق علی الکعبة ولکن مع ذلک تحرز
عن رمی الکعبة فحول وجهها الی زیادة ابن الزبیر فانظر کیف غیر المؤلف مجری
الحکایة فصدر الباب بالاستهانة بالقرآن والحرمین ثم ذکر ان عبد الملک قال
للقرآن هذا فراق بینی وبینک وانه اباح للحجاج ضرب الکعبة بالمنجنیق وهدم
الکعبة وایقاد النیران بین استارها فالناظر فی عبارته یتوهم بل یستیقن ان
عبد الملک تفرغ من بدء الامر للاستهانة بالدین والقرآن والحرمین وجعل
الاستهانة نصب عینه ومرمی غایته وقتل ابن الزبیر کان اما لانه دافع عن مکة او
لکونه ایضا من جنس الاستهانة بالحرم اما تفصیل الواقعة وتعیین بادی الظلم
فهو ان ابن الزبیر لما استولی علی الحرمین اخرج بنی امیة من المدینة فخرج مروان
وابنه عبد الملک وهو علیل مجدر فاستولی علی الشام وصدرت من ابن الزبیر
افعال نقموا علیه لاجلها فمنها انه تحامل علی بنی هاشم واظهر لهم العداوة والبغضاء
حتی انه ترک الصلوة علی النبی فی الخطبة ولما سألوه عن هذا قال ان للنبی اهل
سوء یرفعون رؤسهم اذا سمعوا به[۱] ومنها انه هدم الکعبة ومع ان هدمها لم یکن
الا لرمتها واصلاحها ولکن لم یکن هذا مألوفا للناس ولذلک تحرز النبی علیه السلام

[۱] الیعقوبی طبع یورپ صفحة ۳۱۱ من الجزء الثانی [۲] الجزء الثانی من الیعقوبی صفحه ۳۱۱ -

عن ادخال الحطيم فی الکعبۃ فاتخذ الحجاج ہذہ الامور وسیلۃ لِاغراء الناس علی
ابن الزبیر ولعل ابن الزبیر کان مضطرا الی ہذہ الاعمال ولکن من شریطۃ العدل
ان نوفی کُلَّ احد قسطہ من الحق فاذا اعتذرنا لابن الزبیر فعبد الملک احق منہ
اعتذارا فان ابن الزبیر ہو البادئ والبادئ اظلم ویظہر من ہذا ان عبد الملک
ما اراد الحط من شان الکعبۃ ومَسَّ شرفہا ولکن اضطر الی قتال ابن الزبیر فوقع
ما وقع عرضا غیر مقصود بالذات ولذلک لما نصب الحجاج المناجیق علی الکعبۃ
حَوَّلہا عن الکعبۃ وجعل الغرض الزیادۃ التی کان زادہا ابن الزبیر صرح بذلک
العلامۃ البشاری فی حسن التقاسیم ثم ان من مسایل الفقہ ان البغاۃ اذا تحصنوا
بالکعبۃ لایمنع ہذا عن قتالہم ولذلک امر النبی فی فتح الفتح بقتل احدہم وہو
متعلق باستار الکعبۃ وابن الزبیر کان عند اہل الشام من البُغاۃ والمارقین عن الدین
ولو کان اراد الحجاج الاستہانۃ بالحرم لما کان مرادہ من رمتہ و اصلاحہ
بعد قتل ابن الزبیر ومعلوم ان تعمیر الحجاج ہو الیوم کعبۃ الاسلام وقبلۃ المسلمین کافۃ
اما قول عبد الملک للقرآن ہذا فراق بینی وبینک، فحقیقتہ ان
عبد الملک کان قبل الخلافۃ ناسکا منقطعا الی العبادۃ لایشتغل بشیٔ من الدنیا
قال نافع ما رایت فی المدینۃ اشدّ نسکا وعبادۃً من عبد الملک ولما سألوا ابن
عمر الی من نرجعُ فی الفتوی بعدک قال ولدُ لمروان وکان یقول ابن الزناد الفقہاء
فی المدینۃ سبع احدہم عبد الملک وقال الامام الشعبی ما جالست احدا الا وجدتُ

علیہ افضل الا عبد الملک بن مروان، ذکر کل هذه الاقوال العلامة السیوطی فی تاریخه للخلفاء فلما جاءته الخلافة وهو یقرء القرآن تصوّر خطارة الامر وان مثل هذا العبأ لا یمکن تحمّله الا المنقطع الیه فقال تحسّراً هذا آخر العهد بك ای الآن لا یمکن الانقطاع الی العبادة وقراءة القرآن کما کان دابی اولاً ولیس هذا علی سبیل الاستهانة بالدّین مطلقا فانّا نری اشتغال عبد الملک بالفرائض والسُّنن فیما بعد فهو یصوم ویصلی ویحج قال الیعقوبی فی تاریخه واقام الحج للناس فی ولایته سنته ٧٢ الحجاج بن یوسف وسنة ٧٣ وسنة ٧٤ الحجاج ایضا وسنة ٧٥ عبد الملک بن مروان وسنة ٧٦ ابان بن عثمان بن عفان، وسنة ٧٧ ابان ایضا وسنة ٧٨ وسنة ٧٩ وسنة ٨٠ ابان ایضا وسنة ٨١ سلیمان بن عبد الملک (وسرح باقی السنوات فترکناها) وعبد الملک هو الذی کسا الکعبة الدّیباج فهل هذا صنیع من یرید الاستهانة بالحرم،

قال المؤلف،

" ویحتزّ راسه بیده داخل مسجد الکعبة " (الجزء الرابع صفحة ٩٧)

استند المؤلف فی هذه الروایة بالعقد الفرید لابن عبد ربه والاستناد بمثل هذه الکتب فی مثل هذه الوقایع هو من احدی حیل المؤلف المعتادة بها فانت تعلم ان حادثة قتل ابن الزبیر مذکورة فی الطبری وابن الاثیر وغیرها من المصادر التاریخیة المتداولة الموثوقة بها وعلیها المعوّل والیها المرجع لکن لما لم یکن کیفیة الحادثة فی هذه الکتب وفق هوی المؤلف اعرض عن هذه کلها

وتشبثت بكتاب هو فى علاد المحاضرات فانما يرجع الى امثالها اذا لم يكن فى الباب مستند غيره ومتى مالم يخالف الاصول، والمذكور فى الطبرى وغيره ان عبدالله بن الزبير أُصيب فى الحجون وقُتل هنالك قتله رجل من المراد وما احتز راسه داخل الكعبة،

قال المؤلف "وهدموا الكعبة"،

قدمنا ان الكعبة لم تكن غرضا للحجاج وانما كان نصبا لمناجيق على الزيادة التى زادها ابن الزبير ولما كانت متصلة بالكعبة نال الاحجار من الكعبة ولكن بعد ما استتب القتال اوّل ما فعله الحجاج كان امره بكنس المسجد الحرام من الحجارة والدم كما نص عليه ابن الاثير فهل كنس المسجد الحرام من الحجارة والدم وهدم الكعبة شئ واحد،

اما ما نقل المؤلف عن كفر الوليد وانه امر بالمصحف فعلقوه واخذ القوس والنبل وجعل يرميه حتى مزّقه وانشد،

اتوعد كل جبار عنيد	فها انا ذاك جبار عنيد
اذا لاقيت ربك يوم حشر	فقل يا رب مزّقنى الوليد

ونقل هذه الرواية عن الاغانى فهى من خرافات الاغانى ومعلوم ان صاحب الاغانى شيعىّ، ديانته شنان بنى امية والحط منهم اما الابيات فاثر التوليد ظاهر عليها ومن له ادنى مسكة بالادب يشهد ان نسجها غير نسج الاوائل، فاما جهابذة المحدثين المرجوع اليهم فى نقد الروايات والذين

قولهم فصل فی هذا الباب فیجعل من امثال هذه الروایات المختلفة قال العلامة الذهبی وهو راس الحدیث ومرجع الروایة "لم یصح عن الولید کفرٌ ولا زندقةٌ بل اشتهر بالخمر والتلوط فخرجوا علیه لذلك" (تاریخ الخلفاء للسیوطی ترجمة الولید)

ثم ان هنالك امرٌ اٰخر وهو ان النّاقم علی الولید وقاتله هو خلیفةٌ امویٌّ، فکیف ینسب استهانة الدین الی خلفاء بنی امیة عامتهم ثم ان هذا الذی عزا الیه صاحب الاغانی الاستهانة بالقراٰن قد ذکر له صاحب العقد ما ینبئ عن تعظیمه للقراٰن وتفخیمه شانه وحث الناس علی حفظه وتعهده قال صاحب العقد[له] انه شکا رجل من بنی مخزوم دینا لزمه فقال (الولید) اقضیه عنك ان کنت لذلك مستحقاً قال یا امیر المومنین کیف لا اکون مستحقاً فی منزلتی وقرابتی قال قرأت القراٰن قال لا قال فادن منی فدنا منه فنزع العمامة عن راسه بقضیب فی یده فقرعه قرعة وقال لرجل من جلسائه ضم الیك هذا العلج ولا تفارقه حتی یقرء القراٰن فقام الیه اٰخر فقال یا امیر المومنین اقض دینی فقال له اتقرء القراٰن قال نعم فاستقراه عشرا من الانفال و عشرا من براءة فقرء فقال نعم نقضی دینك وانت اهلٌ لذلك" فانت تری ان الولیدُ یعدُّ من لا یقرء القراٰن علجاً والمولف یعد الولید علجاً،

فاما ما ذکره المولف من اقوال الحجاج وخالد القسری فی انهما کانا

[له] الجزء الثانی صفحة ٢٥٨

يفضلان الخلافة على النبوة فمع ان اكثر هذه الاقوال مأخوذ من العقد الفريد
وهو من كتب المحاضرات لسنا نحتاج الى الذب عن الحجاج وخالد فانهما من
اشرار الامة حقًّا ولكن كم لنا من امثال هؤلاء الملاحدة فى الدولة العباسيّة
كالمجاردة وابن الراوندى الذى عمل كتابا ردّ فيه على القرآن وسماه بالدامغ فاذا
كان العباسية غير مسئولين عن اوزار هؤلاء عند المؤلف فكذلك بنو اميّة
وان كان عبد الملك والوليد يرتضيان بسوء اعمال الحجاج فمعلوم ان غيرهما
من بنى امية كانوا ناقمين عليه كافّة حتى ان هشاما قال "هل الحجاج استقرّ فى
جهنم او يهوى الى الآن" ولما وصل هشام ان خالد القسرى استخفّ بامرءةٍ
مومنة عزله عن الامارة وسجنه كما ذكره ابن خلكان،

والحاصل ان المؤلف ان خص رجلا او رجلين من بنى امية بالمطاعن لا عترفنا به
ولكن من سوء مكيدة المولّف انه يجعل الفردَ جماعةً والفذّ توءمًا والنادر عاما،
والشاذّ مطردا۔

جور بنى امية سمعنا بمظالم بخت نصر وَاَحطنا علمًا بشنايع چنگيزخان واطّلعنا
على ما جنته ايدى **التتر** فوالله (لو صدق المولف) هم كانوا اشد قسوة
ولا افظع اعمالا ولا اسفك دماءًا ولا اجمع لانواع الفتك من بنى امية،

قال المولف حتى فى ايام معاوية فانه ارسل بسر بن ارطاة × ×
وارسل معه جيشا ويقال انه (اى معاوية) اوصاهم ان يسيروا

فی الارض ویقتلوا کل من وجدوہ من شیعة علیؑ ولا یکفوا ایدیھم عن النساء

والصبیان (الجزء الرابع صفحة ٨٢)

قبل ان اکشف عن جلیة الامر لابدّ من تقدیم مقدمة، وھی ان المؤلف

مدح بنی العباس وجعل اعمالھم مناط العدل ودلالة علی الرفق فقال،

ولا غرابة فیما تقدم من عمران البلاد فی ظل الدولة العباسیة فان العدالة

توطد دعایم الامن واذا امن الناس علی ارواحھم وحقوقھم تفرغوا

للعمل فتعمر البلاد ویرفه اھلھا ویکثر خراجھا (الجزء الثانی صفحة ١٨)

وعلی ھذا فاذا وجدنا بنی امیّة معادلین لبنی العباس فی جمیع اعمالھم سواءً

بسواءٍ کان اختصاصھم بالذم دون بنی العباس جوراً فاحشا ومیلا عظیما، ثم ان ھناك

امراً اخروھو ان المورخین باسرھم کانوا فی عصر بنی العباس ومن المعلوم انّه لم یکن

یستطیع احد ان یذکر محاسن بنی امیة فی دولة العباسیّن فاذا صدر من احدٍ

شیءٌ من ذلك فلتة کان یقاسی قائلھا انواعا من الھتك والایذاء ووخامة العاقبة

وکم لنا من امثال ھذہ فی اسفار التاریخ، ومع اننا نفخر بان مورخی الاسلام کانوا

اصدق الناس روایة واجرءھم علی اظھار الحق ما کان یمنعھم عن بیان الحقیقة

سلطة ملكٍ ولا مھابة جائر ولکن مع ذلك فرق بین تعمد الکذب والسکوت عن الحق

ولذلك نعتقد انھم ما قالوا شیئاً افتراءً علی بنی امیة ولکن ان قلنا انھم کثیرا ما

سکتوا عن محاسنھم فذلك شیءٌ لا یدفع ولیس فیه غضٌّ منھم۔

امابنوالعباس فكانوا فی عصرهم ولاة البلاد وملاك رقاب الناس رضاهم الحيوة وسخطهم الموت، فالوقيعة فيهم والاخذ عليهم ما كان يمكن الابعد مخاطرة النفس والاقتحام فی الهلاك ونصب النفس للموت،

رجعنا الی قول المولف ان معاوية امر بقتل النساء والصبيان، اعلم ان هذه الواقعة ای ارسال بسر ابن ارطاة الی شيعة علیؑ من اشهر الوقايع المذكورة فی ساير كتب التواريخ وليس فی احد منها قتل النساء والصبيان بل فيها ما يخالف هذه الرواية قال المورخ اليعقوبی "ووجّه معاوية بسر بن ارطاة وقيل بن ارطاة العامری من بنی عامر بن لوی فی ثلثة الاف رجل فقال له سر حتی تمرّ بالمدينة فاطرد اهلها واخف من مررت بها وانهب مال من اصبت له مالا ممن لم يكن دخل فی طاعتنا واوهم اهل المدينة انك تريد انفسهم وانه لا براءة لهم عندك

×× حتی تدخل مكة ولا تعرض فيهما لاحد وارهب الناس فيما بين مكة والمدينة

×× ثم امض حتی تاتی صنعاء فان لنا بها شيعة وقد جاءنی كتابهم فخرج بسر فجعل لا يمرّ بحی من احياء العرب الا فعل ما امره معاوية (اليعقوبی طبع اوربا صفحه ٢٣١ من الجزء الثانی)

فتری فی هذه العبارة انه لم يكن هناك الا تخويف وتهديد وايهام لما رای المولف ان المصادر التاريخية الموثوقة بها لا توجد فيها ما يوافق هواه جنح الی الاغانی ونقل ان معاوية بقتل النساء والصبيان ثم اعتذر عن معاوية بان المظنون

خلاف ذلك لحلمه ودهائه والظن ان معاوية اطلق يد لبسر ولم يعيّن لحدوده حدًّا وكان بسر سفّاكًا للدّماء فلم يستثنِ طفلا ولاشيخا"

قد قلنا انّ الاغانى من كتب المحاضرات فاذا كان الامر هيّنا وكان الحديث فُكاهةً اوتسلّيا من كدّ العمل الى استراحةٍ فلا باس به وبامثاله اما اذا كان الامر ذابال وكان الواقعة مُعتركَ الاختلاف ومتعفر الاهواء رافعا لشانٍ اوهادِمًا لِاَساسٍ فامثال هذه الكتب لايوذن لها ولايُلتفت اليها مطلقا،

ثم ان الرجل (اى صاحب الاغانى) شيعيٌّ اذا جاءه شئٌ ممايشين معاوية ويُدنّسُه وجد من نفسه ارتياحًا الى قبوله ولوكان من اوهن الاحاديث واكذبها،

نعم ان بسر بن ارطاة قتل طفلين ولكن القتل لم يتجاوز الاثنين فاين هذا من قول المولف،

"وكان بسر سفاكا للدماء فلم يستثن طفلا ولاشيخا"،

قال المولف "فاذا كان هذا حال العمال فى ايام معاوية مع حلمه وطول اناته فكيف فى ايام عبدالملك مع شدّته وفتكه فهل يستغرب مايقال عن فتك الحجاج وكثرة من قتلهم صبرًا ولوكانوا ١٢٠٠٠٠

(الجزء الرابع صفحة ٨٣)

نعم قتل الحجاج مائة الف اومائتين ولكن اين هذا من صنيعة ابى مسلم

الخراسانی القایم بدعوة بنی العباس لموسس لدولتهم فانه قتل صبرا بدون حرب مایبلغ عدده ستمایة الف وقد اعترف به المولف فی هذا التالیف نفسه (الجزء الرابع صفحة ١١٢) والمولف یحتال لذلك عذرا ویحسبه من طبیعة السیاسة فالحجاج احق بالعذر واجدر بالعفو فان الحجاج عربی قح طبعه الجفاء والقسوة اما ابو مسلم فعجمی تربی فی حجر التمدن وغذی بلبان الظرف ودماثة الاخلاق،

اما قوله "عبد الملك کان اشد وطاة منه" (ای من الحجاج) فلم یات علیه بشاهد غیر غدره بعمرو بن سعید واین هذا من غدر المنصور العباسی بابی مسلم الذی هو رب الدولة العباسیة ولولاه لما قامت للعباسیین قایمة ولا کان لهم ذکر وکذلك غدر المنصور بابن هبیرة،

وغایة مایقضی منه العجب ان المولف بعد ما ذکر فتك بنی امیة بقوله "وقد نفعتهم هذه السیاسة (ای سیاسة الفتك) فی تأئید سلطانهم ثم قال صارت سنة فی من ملك بعدهم من بنی العباس وغیرهم" وانت تعلم ان المولف یبرئ ساحة العباسیة من الجور والظلم فضلا عن الفتك فهل هذا تناقض فی القول او اراد بهم نفعا فضرهم من حیث لا یعلم ـ لا والله لا هذا ولا ذاك بل هی من مکاید المولف التی لا یهتدی الیه الا فطن خبیر بطویة الرجل وکامن ضغنه،

جور العمال ذکر المولف تحت هذا العنوان انواعا من الجور والشدة الصادرة من عمال بنی امیة ونحن نذکر بعضا منها مع کشف الحقیقة،

قال يذكر جور العمال "واذا اتى احدهم بالدراهم ليوديها فى خراجه يقتطع الجابى، منها طائفةً ويقول هذا رواجها وصرفها" (الجزء الثانى صفحة ٢٢ واستند فى الهامش بكتاب الخراج لابى يوسف صفحة ٦٢)

ايها الفاضل المولف! اليس لك وازع من نفسك، اليس لك رادع من ديانتك. اتجترئ على مثل هذا الكذب الظاهر والمين الفاحش جهرة فان القاضى ابا يوسف ما تكلم فى شان عمال بنى امية ببنت شفة وانما ذكر عن عمال هرون الرشيد واساءتهم العمل فى جباية الخراج وكتاب الخراج لابى يوسف بين ايدينا وقد طبع فى مصر وتداولته الايدى وتناقلته الالسن،

قال المولف،

"وفى كلام القاضى ابى يوسف فى عرض وصيته للرشيد بشان عمال الخراج ما يبيّن الطرق التى كان اوليك الصغار يجمعون الاموال بها قال "بلغنى انه قد يكون فى حاشية العامل والوالى جماعة منهم لربه حرمةٌ ومنهم من له اليه وسيلة ليسوا بابرارٍ ولا صالحين يستعين بهم ويوجّههم فى عماله يقتضى بذلك الذمامات فليس يحفظون ما يوكلون بحفظه ولا ينفقون من يعاملونه انما مذهبهم اخذ شئ من الخراج كان او من اموال الرعية ويقيمون اهل الخراج فى الشمس ويضربونهم الضرب الشديد ويعلّقون عليهم الجرار ويقيدونهم بما يمنعهم من الصّلوة وهذا عظيمٌ

عند الله شنيع فی الاسلام (الجزء الثانی صفحة ٢٣ و ٢٤ مستندًا الی کتاب الخراج صفحه ٦١ و ٦٢)

الله اکبر! هل سمع احدٌ باعظم من هذا التدلیس والتلبیس یشتکی القاضی ابو یوسف من عمّال هرون الرشید ویرفع القضیة الیه ویبین ما بلغه مما یرتکب عماله فی اخذ الاموال من الرعایا، فیاخذ المولف اقواله وینقلها من حیث انها هی الطرق التی کان عمال بنی امیّة یجمعون الاموال بها! ها هو کتاب الخراج بایدینا قرءناه وقلبناه ظهرًا عن بطنٍ وکررنا فیه النظر لا کرّة او کرّتین بل مرّات متوالیة متتابعة، فما وجدنا فیه کلمة فی شان عمال بنی امیة وانما قال ما قال ابو یوسف یعظ الرشید بما بلغه عن عماله الی ان خاطبه بقوله،

فلو تقرّبت الی الله عزوجل یا امیر المومنین ابا لجلوس لمظالم رعیّتك فی الشهر او الشهرین مجلسًا واحدًا تسمع فیه من المظلوم وتنکر علی الظالم رجوتُ ان لا تکون ممن احتجب عن حوائج رعیته ولعلك لا تجلس الا مجلسًا او مجلسین حتی یسیر ذلك فی الامصار والمُدن فیخاف الظالم وقوفك علی ظلمه فلا یجترئ علی الظلم ... مع انه متی علم العمال والولاة انك تجلس للنظر فی امور الناس یومًا فی السنة لیس یومًا فی الشهر تناهوا باذن الله عن الظلم وانصفوا من انفسهم (کتاب الخراج صفحة ٦٣ و ٦٤)

لا فُضَّ فوك يا ابا يوسف! فقد صدعت بالحق وامرت بالمعروف واجترءت على النهي عن المنكر واخذت على ملكٍ جبارٍ كهرون الرشيد صاحب النكبة بالبرامكة والبرجرأتك ايها الفاضل (جرجى زيدان) تتبعت سيرة عمال بنى امية وبالغت فى الامعان وكابدت فى ذلك محنة التقصى فاعوزك كل هذا وما وجدت فى عمالهم شيئا من مثل تلك الفظايع فعمدت الى سيرة عمال الرشيد واوهمت الناظرين انها سيرة عمال بنى امية،

قال المولف وكان العمال لا يرون حرجا فى ابتزاز الاموال من اهل البلاد التى فتحوها عنوة لاعتقادهم انها فيء لهم كما تقدم (الجزء الرابع صفحه ٥)

الذى اشار اليه بقوله "تقدم" هو قوله فى الجزء الثانى وهذا نصه

"وكان من جملة نتايج تعصب بنى امية للعرب واحتقارهم ساير الامم انهم اعتبروا اهل البلاد التى فتحوها وما يملكون رزقا حلالا لهم يدل على ذلك قول سعيد بن العاص عامل العراق ما السواد الا بستان قريش ما شئنا اخذناه منه وما شئنا تركناه وقول عمرو بن العاص لصاحب اخنا لما ساله عن مقدار ما عليهم من الجزية فقال عمرو انما انتم خزانة لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم (الجزء الثانى صفحه ١٩)

تشبث المولف بهذه الاقوال فى غير موضع مستدلا على ان العرب وبنى امية كانوا يتصرفون على اموال الناس كيفما شاؤا ظنا منهم ان اموالهم

واعراضهم اُبيحت لهم مطلقا۔

حقیقة القول انه لما فتحت البلاد فی خلافة **الفاروق** تقدم بعض الصحابة کعبد الرحمن بن عوف وبلال وغیرهما وقالوا ان الارض مقسومه بیننا کما قسم رسول الله خیبر وکان الفاروق رأی غیر هذا فقام النزاع حتی وُفِّقَ الی الاستناد بنص القران فسکتوا ورضوا والقصّة مذکورة بتفاصیلها فی کتاب الخراج للقاضی ابی یوسف ثم ان بعض البلاد فُتحت صلحًا فمتی کان الخراج او الجزیة شیئًا مُسمًّی مُعیّنًا ما کانوا یرون الزیادة علیه واذا کثرت الارض خیراتها وزادت غلاتها وفتح بعضها عنوة فکان الخراج او الجزیة علیها بقدر النقص والزیادة وهذا هو قول عمرو "ان کثر علینا کثرنا علیکم وان خفف عنا خففنا عنکم" وقد اشار الی ذلك المقریزی فی تاریخه والعلامة السیوطی فی حسن المحاضرة فاما قول سعید بن العاص الذی استند به المولّف فتحریف الکلام عن موضعه علی جاری عادته فان المولف نقل هذه الروایة من الاغانی والمذکور فیه ما حاصله "ان احدا مدح السواد عند سعید بن العاص وبالغ فیه فقال بعضهم نعم ویالیته کان لامیرنا فقال بعض من حضر لا نعطی ارضنا للامیر فقال الرجل ولو شاء الامیر لاخذه فانکروا قوله فقال سعید بن العاص "السواد بستان قریش الخ" فقال الرجل لا انه من مرایح رماحنا" فانت تری ان النزاع بین الجند وامیر البلد هنا هو النزاع الذی کان بین بعض الصحابة وعمر الفاروق وایُّ متشبث فی ذلك للمؤلف

فان سعید بن العاص قال ما قال رَدًّا علی الجند بدعوی ان الارض لا تقسم بین فاتحی البلاد بل ھی تحت ید الخلیفة او من ینوب عنه وانما ذکر سعید قریشا لان الخلافة علی زعمھم للقریش خاصة،

قال المولف،

فکان الخلفاء یکتبون الی عمالھم بجمع الاموال وحشدھا والعمال لا یبالون کیف یجمعونھا فقد کتب معاویة الی زیاد،، اصطف لی الصفراء والبیضاء فکتب زیاد الی عماله بذلك واوصاھم ان یوافوہ بالمال ولا یقسموا بین المسلمین ذھبا ولا فضةً،، (الجزء الرابع صفحتہ ۲ واحال الروایة فی الھامش علی العقد الفرید صفحة ۱۰ من الجلد الاول)

ننقل ماخذ ھذہ الروایة کما صرّح به المولف فی الھامش لتری خیانات المولف واحدة بعد واحدة، قال صاحب العقد،

"ونظیر ھذا القول ما رواہ الاعمش عن الشعبی ان زیادا کتب الی الحکم بن عمر الغفاری وکان علی الطایفة ان امیر المومنین کتب الیّ ان اصطفی له الصفراء والبیضاء فلا تقسم بین الناس ذھبا ولا فضةّ فکتب الیه انی وجدت کتاب الله قبل کتاب امیر المومنین ثم نادی فی الناس فقسم لھم ما اجتمع من الفئ،، (العقد الفرید المجلد الاول صفحة ۱۰)

فانظر اوّلاً، انه ليس فى هذه الرواية انّ معاوية كتب الى زياد بل ان زياد كتب الى الحكم انّ امير المومنين كتب الىّ،، ولعل زياد كذب فى ذلك او فهم غير ما اراد معاوية بقوله،

ثانياً، انّ المولّف حذف كل ما قال الشعبى وما عمل به من تقسيم الفئ، لدلالته على ان فى عمّال بنى امية من لا يمنعه عن الصدع بالحق واداء الواجب احدٌ۔ لا ولاة الامصار ولا من فوقهم اى الخليفة نفسه،

ثالثاً، انّه ليس فى هذه العبارة ما يستدل به على استيثار معاوية المال لنفسه فان مراده ان العمّال ليس لهم تقسيم الفئ، بل الامر موكول الى الخليفة فعلى العامل ان يجمع الاموال ويرسلها الى الخليفة وللخليفة ان يضعها موضعها،

قال المولف،

"فكان العمال يبذلون الجهد فى جمع الاموال بأية وسيلة كانت و مصادرها الجزية والخراج والزكاة والصدقة والعشور واهمها فى اوّل الاسلام الجزية ولكثرة اهل الذمة فكان عمال بنى امية يشددون فى تحصيلها فاخذ اهل الذمة يدخلون فى الاسلام فلم يكن ذلك لينجيهم منها لان العمال عدّ واسلامهم الفرار من الجزية وليس رغبة فى الاسلام فطالبوهم بالجزية بعد اسلامهم واول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف واقتدى به غيره من عمال بنى امية فى افريقة وخراسان وما وراء النهر فارتد الناس عن الاسلام

وهم يودّون البقاء فيه وخصوصاً اهل خراسان وماوراء النهر فانهم ظلّوا
الى اواخر بنى اميّة لايمنعهم عن الاسلام الاظلم العمال بطلب الجزية منهم
بعد اسلامهم" (الجزء الرابع صفحة ٧٦)

ذكر المولّف هذه الواقعة اى اخذ الجزية بعد الاسلام فى غير موضع بعبارات
متنوعة قوية الاخذ بالنفس شديدة الوطاة على القلب يتراى للناظر فيها انّ
الناس حيطوا من كل جانب جوراً وعدواناً فاذا ابقوا على الكفر يعانون من
الشدة ما يلجيهم الى الاسلام واذا اسلموا فالجزية باقية على حالها لا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينصرون،

اعلم ان الجزية ليست الا بدلاً عسكرياً فمن يذبّ عن بيضة الملك
بنفسه فهو غير ماخوذ بها امّا من ضنّ بالنفس ولا يصلح لذلك فعليه ان يودى
شيئاً من المال ليكون عدّة للعسكر وعوناً له واوّل من سنّ الجزية وجعل لها
وضايع كسرى نوشروان كما ذكره ابن الاثير وصرح بانها هى الوضايع التى اقتدى بها
عمر بن الخطاب، وكم تجد فى البلاذرى والطبرى وغيرها انّ اقواماً من النصارى
فى عصر عمر بن الخطاب لما قاموا بالدفاع عن الملك او دخلوا فى الجند سقطت
عنهم الجزية واعفى عمر بن الخطاب نصارى تغلب عن الجزية واضعف عليها
الصدقة وجملة القول ان الجزية لم يكن فى الاصل شئ يحدّ بين الكفر والاسلام
ولكن لما كان غالب الحال ان اهل البلاد من النصارى والمجوس واليهود

كانوا اصحاب حرث وزرع وعمّالٍ فى الديوان وكانوا لا يرضون بمخاطرة النّفس واقتحام الحروب ولذلك كانوا مطالبين بالجزية والمسلم لا يمكن له الاعتزال عن الحرب فانه مضطر الى الذب عن بلاد الاسلام طايعا او مكرهًا، صارت الجزية كانها حدٌّ فاصل بين الرئيس والمرءوس ثم بين المسلم وغير المسلم،

٢- ولما لم ينفصل الامر بتّةً وبقى للاجتهاد موضع ومُتّسع كان بعض العمال يضرب الجزية على حديثى العهد بالاسلام،

٣- ولكن مع هذا لم يتفق ذٰلك فى مدى الخلافة الاموية الا مرات معدودات يشهد بذلك الفحصُ التقصى وامرار النظر والكدّ فى البحث والتنقيب ومع ذلك فكلما وقع مثل هذا لم يكن له بقاء فامّا ان يكون الامة هى التى تقيم النكير على العامل او يصل الخبر الى الخليفة فيرد عمله ويمنعه عن الوقوع فى مثله اٰتيا ففى سنة ١٠١ لما كتب الحجاج الى البصرة بردّ من اَسلم من اهل القرى الى مساكنهم وضرب الجزية عليهم ضجّ القرّاء وخرجوا يبكون مع البُكاة من اهل القرى وبايعوا عبد الرحمن بن الاشعث مشمئزين من عمل الحجاج منكرين عليه كما هو مشروح فى تاريخ الكامل لابن الاثير وكذلك لما اقتدى الجراح الحكمى بصنيع الحجاج كتب اليه عمر بن عبد العزيز يامره باسقاط الجزية والواقعة مذكورة فى حوادث سنة ١٠١ فى تاريخ الكامل وكذلك لما فعل يزيدُ بن ابى مسلم فى افريقية سنة ١٠٢ اَلَّبَ الناس عليه و فقتلوه وكتبوا الى الخليفة يزيد بن عبد الملك فكتب اليهم انى ما كنتُ مستحسنًا

عمل يزيد والقصة مذكورة فى الكامل تحت حوادث سنة ... وكان اخر ما وقع مثل ذلك ما فعل اشرس فى خراسان فاورث ثورة واشترك العرب مع الثايرين ونصروهم اما خلفاء بنى امية فلم يثبت من احد منهم مثل ذلك وانما كان اراد عبد الملك وضع الجزية على من اسلم من اهل الذمة فكلمه ابن حجرة فترك والقصة مذكورة فى المقريزى بنوع من التفصيل (انظر صفحة ٨٠ من الجزء الاول) والآن نقص عليك بعض خيانات المولف،

(١) ذكر وقعة الحجاج وترك نكير القراء عليه وبيعتهم على يد ابن الاشعث انكاراً على صنيع الحجاج،

(٢) ذكر وقعة الجراح (الجزء الثانى صفحة ٣٠) وترك انكار عمر بن عبد العزيز عليه ومنعه عن ضرب الجزية عليهم،

(٣) ذكر واقعة يزيد بن ابى مسلم وترك ان الناس قتلوه وان الخليفة يزيد بن عبد الملك استصوب صنيعهم اى قتلهم يزيد بن ابى مسلم،

(٤) ذكر واقعة اشرس ولم يذكر ان العرب قاموا عليه وكانوا مع الثايرين عليه

ولما ثبت ان ضرب الجزية على حديثى العهد بالاسلام لم يامر به احد من خلفاء بنى امية وانما كان اجتهاداً من بعض العمال بناءً على ان اسقاط الجزية يورث نقصاً فى الخراج وان الخلفاء كلما عثروا على ذلك منعوا العمال عن ضرب الجزية وردّوا عملهم وانه كلما وقع مثل ذلك تألب العلماء والخيار من الناس

واقاموا النكير على ضارب الجزية حتى قتلوا بعض العمال ثم استحسن الخليفة قتله فهل المولف ان يحمل وزر بعض العمال على بني امية كافة وهل يصح قوله،

"ولم يكن عمال بني امية يأتون هذه الاعمال من عند انفسهم دائما بل كثيرا ما كانوا يفعلونه بامر خلفائهم كما قد رايت مما كتبه معاوية الى وردان" (الجزء الثاني صفحة ٢٢)

اما كتاب معاوية الى وردان فتقدم ذكره وليس فيه للمولف موضع حجة،

قال المولف

"انه لما راى اهل الذمة ان الاسلام لا ينجيهم من ذلك عمد بعضهم الى التلبس بثوب الرهبنة لان الرهبان لا جزية عليهم فادرك العمال غرضهم من ذلك فوضعوا الجزية على الرهبان واول من فعل ذلك منهم عبد العزيز بن مروان عامل مصر فامر باحصار الرهبان وفرض على كل راهب دينارا" (الجزء الثاني صفحة ٢٠ مستندا الى المقريزي صفحة ٤٩٢ من الجزء الثاني)؛

ايها الفاضل المؤلف اما هذا الاجتراء اما هذا الاختلاق اما هذا الكذب الظاهر؟

هاك نص المقريزي "ثم قدم اليعاقبة في سنة احدى وثمانين الاسكندرية فقاموا اربعا وعشرين سنة ونصفا وقيل خمسا وعشرين سنة ومات سنة ست ومائة وجرت به شدائد منها صودر فيها مرتين اخذ منه فيهما ستة

الّا ان دينار وفى ايامه امر عبد العزيز بن مروان فامر باحصاء الرهبان فاحصوا واخذت منهم الجزية على كل حالم دينار وهى اول جزية اخذت من الرهبان" (الجزء الثانى من المقريزى صفحه ٤٩٢)

فهل تجد فى هذه العبارة ادنى اشارة الى ان عبد العزيز او احد غيره شدد فى الجزية فاختار والرهبنة طلباً للنجاة من الجزية فما نفعهم وانما فيها ان عبد العزيز بن مروان وضع الجزية على الرهبان وهذا ليس فيه كبير شئ فان الرهبان وان كانوا معافون عن الجزية ولكن لما لم يكن الامر منصوصاً لا فى الكتاب ولا فى السنة كان للاجتهاد فيه مساغ فاجتهد عبد العزيز واخطاء،

انه هذا البحث

لو سردنا كل ما قال المولف عن جور بنى امية وعمالهم واستيثارهم الاموال واسرافهم فى استلابها وبيّنا ما فى كل قول من التحريف والتدليس وتغيير المعنى والخيانة فى النقل وصرف العبارة عن وجهها لطال الكلام واحتجنا الى عمل كتاب منفرد بنفسه فلاجل ذلك اقتصرنا على كشف بعض دسايسه مع انه قلّ من كلٍّ وغيضٌ من فيضٍ،[له]

له ومما يناسب ذكره فى هذا المقام ان المولف لما انجز الجزء الاول من كتابه ارسله الىّ فكتبت اليه بعد الاعجاب به انه لابد من ذكر مصادر الروايات فى كل موضع وذلك لاجل انى كنت اخاف عليه التدليس، فاظهر المولف فى مقدمة الجزء الثانى انه عمل بذلك، ويذكر الكتاب والجزء والصفحة ولكن من الاسف ان كل هذا ما اجدى نفعا فانه ما يذكر المطبعة ولاجل هذا كابدت فى تطبيق مصادر كتابه محنة عظيمة فان النُسخ مختلفة ولا يدارى اى نسخة ارادها وبسبب ذلك ما اهتدنا الى اكثر خياناتها ومن المحقق المستيقن به انه ما نقل عبارة الّا وعمل فيها شيئا من التحريف والتغيير ومن كان فى ريب من ذلك فليراجع الاصول ويكابد محنة التطبيق ليؤمن بما قلته مع حيرة وانذهاش -١٢

ونقول بعد كل ذلك ان موضوع الكتاب ليس الا بيان تمدن الاسلام فاى متعلق فى ذلك لابداء مساوى بنى امية ولعلك تقول لا بد فى تاريخ تمدن الاسلام من بيان منهج السياسة وانها هل كانت موسسة على الاستبداد والجور او العدل والنصفة فجر ذلك الى كشف عوار بنى امية عرضا ولكن انا اشدك بالله اما كان لاحد منهم ماثرة تذكر ومنقبة تنقل وسياسة تنفع البلاد ومعدلة تعم الناس نعم ان بنى امية لا يوزنون بالخلفاء الراشدين وليس هذا عارا عليهم ولا فيه حط لمنزلتهم فان ادراك شأو الراشدين واللحوق بهم امر خارج عن طوق البشر وليس فيه مطمع لاحد ولا موضع رجاء لمجتهد ولكن التوازن والتكايل بين الاموية والعباسية وانما هم ملوك فيهم المحسن والمسئ والعادل والجاير والناسك والخليع والحازم والمغفل بل الذى اعدلهم سيرة وامثلهم طريقة واوفاهم ذمما وارضاهم طورا لا يخلو من عثرات لا تقال وهنات لا تذكر فلو لزم المولف جادة الانصاف ووفى لكل حد قسطه واعطى كل ذى حق حقه لاستراح واسترحنا ولكنه مال الى واحد فاطرى فى مدحه ونال من الآخر فاسرف فى تهجينه وذمه ثم انه لم يفارق فى مدحه وذمه عمود الكتاب اى ذم العرب والحط من شانهم فانه ذم بنى امية لانهم العرب بحتة ومدح العباسيين لا لانهم العرب او انهم من سلالة هاشم او من اقرباء النبى بل لان دولتهم دولة عجمية وقد مر نصه فى ذلك سابقا،

وكان لنا ان نذكر طرفا من ماثر بني امية وسيرتهم ومبلغهم من حسن
السياسة وتعمير البلاد وتمهيد السبل وتوطيد الامن في اقامة المرافق وتعميم المعارف

اعلم ان دولة بني امية عبارة عن معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان
والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز وهشام فاما ما عداهم فلم تطل مدتهم
وليس لعبرة بهم ان احسنوا او اساؤا

فاما معاوية فنذكر من سيرته ما ذكره المؤرخ المسعودي في مروجه
مع نوع من الاختصار قال

كان من اخلاق المعاوية انه كان ياذن في اليوم والليلة خمس مرات

كان اذا صلى الفجر جلس للقصاص حتى يفرغ من قصصه ×××
فيخرج الى المسجد فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسي
ويقوم الاحداث فيتقدم اليه الضعيف والاعرابي والصبي والمراة
ومن لا احد له فيقول ظلمت فيقول اعزوه ويقول عدي علي
فيقول ابعثوا معه ويقول صنع بي فيقول انظروه في امره حتى اذا
لم يبق احد دخل فجلس على السرير ثم يقول ائذنوا للناس على قدر
منازلهم فاذا استووا جلوسا قال يا هؤلاء انما سميتم اشرافا
لانكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ارفعوا الينا حوائج من لا يصل
الينا فيقوم الرجل فيقول شهد فلان فيقول افرضوا له ويقول

آخر غاب فلانٌ عن اهله فيقول تعاهدوهم واقضوا حوائجهم، ثم
يوتى بالغداء، والكاتب يقرء كتابه فيأمر فيه، حتى يأتى على اصحاب
الحوائج كلهم وربما قدم اليه من اصحاب الحوائج اربعون او نحوهم
على قدر الغداء،

واطال المسعودى فى بيان اعمال معاوية يوميا ثم قال بعد
حكاية معترضة "فلنرجع الآن الى اخبار معاوية وسياسته وما اوسع الناس من
اخلاقه وما افاض عليهم من بره وعطائه وشملهم من احسانه مما اجتذب
به القلوب واستدعى به النفوس حتى آثروه على الاهل القرابات" ثم ذكر بعد
ذلك عدة وقايع تركناها هربا عن الاطناب،

فاما عبد الملك فقال المدائنى "كان يقال معاوية احلم وعبد الملك احزم
وهو الذى جعل على بيوت الاموال والخزائن رجاء بن الحيوة ذلك المحدث
المشهور وعلى كتابة الخراج والجند سرجون بن منصور الرومى (وهو نصرانى)
وحوّل الدواوين من الرومية والفارسية الى العربية وزاد على ما كان فرض
معاوية للموالى خمسة فبلغها عشرين ودخل فى بيعته عبد الله بن عمر ومحمّد
بن حنفية" ذكر كل ذلك صاحب العقد فى ترجمته وقد سبق من نسكه و
عبادته ما فيه كفاءة فيما مرّ،

ومما ينقم عليه تاميره الحجاج ولكن الدولة تحتاج فى ابّانها واوّل نشاءتها

الی مثال ذلك وهذا ابو مسلم الخراسانی مؤسس الدولة العباسية قتل ستمائة الف رجل صبراً وهذا ابو جعفر المنصور فعل بالهاشميين ما لم يسبق له نظير فی الاسلام ومع ذلك فانی اعوذ بالله ان اقوم ذاباً عن الحجاج ومدافعاً عنه"۔

اما الوليد فكان اهل الشام يفتخرون به وحق لهم ذلك قال صاحب العقد الفريد

"كان الوليد عند اهل الشام افضل خلفائهم واكثرهم فتوحاً، واعظمهم نفقة فی سبيل الله بنی مسجد دمشق ومسجد المدينة ووضع المنابر واعطی المجذومين حتی اغناهم عن سوال الناس واعطی كلّ مُقعد خادماً وكل ضرير قائداً وكان يمر بالبقال فيتناول قبضة فيقول بكم هذه فيقول بفلس فيقول زد فيها فانك تربح" وهو الذی وسّع مسجد النبیّ وذهّب البيت قال اليعقوبی ان الوليد بعث الی ملك الروم يعلمه انه قد هدم مسجد رسول الله فليعنه فيه فبعث اليه بماية الف مثقال ذهباً ومائة عامل واربعين حملا فسيفساء ۔ ۔ وبعث الوليد الی خالد بن عبد الله القسری وهو علی مكة بثلثين الف دينار فضربت صفائح وجعلت علی باب الكعبة ۔ ۔ فكان اول من ذهّب البيت فی الاسلام وحج الوليد سنة ۹۱ لينظر الی البيت والی المسجد وما اصلح منه والی البيت وتذهيبه"

وقال اليعقوبی كان اوّل من عمل البيمارستان للمرضی ودار الضيافة واول من اجری علی العميان والمساكين والمجذومين الارزاق،

وقال السيوطی فی تاريخه للخلفاء "وكان مع ذلك (ای كونه جباراً ظلوماً)

يختن الايتام ويرتب لهم المؤدبين،

ثم ان الدول تعرف اقدارها بآثارها وتقضى بفضلها بعملها واخلد الآثار التى تتفاضل بها مقادير الملوك وتتطاول بها رتب الدول كثرة الفتوح واستتباب امور الملك والرعية وتوطد دعايم العدل وانتشار العلم ودولة بنى امية قد اخذت من كل ذلك قسطا وضرب فى كل ذلك بسهم،

اما كثرة الفتوح فقد بلغت دولتهم منها غاية ليس وراءها مُطّلعٌ لطامح انقضت ايام الخلافة الراشدة والاسلام يزخر عبابه فى جزيرة العرب وديار الشام و مصر وبلاد الفرس فلما تسنّمت بنو امية عرش الخلافة ازداد الاسلام فتوحا واتسعت ممالكه وغلب سلطانه وامتدّت سطوته ودخلت البلاد النائية المترامية الاكناف فى حوزة حكمه فملكوا ما لم يملكه احدٌ من ملوك الاسلام قبلهم ولا بعدهم فتحوا اطرابلس وطنجة وساير بلاد المغرب والاندلس وبلاد الديلم والاتراك والمغول والسند وقبرص واقريطش ورودس وغيرها من جزاير البحر وغزوا صقلية وصالحوا النوبة وتوغّلوا فى بلاد الروم حتى بلغوا اسوار القسطنطنية وضربوا السيف على ابوابها وافتتح السند محمدا لثقفى احدُ ابناء قوّادهم وهو ابن سبع عشرة سنة وقد وطئت جيوشهم ثغور الصين وثغور بلاد الافرنج وعاصمة بلاد الروم وحدود بلاد الهند وملكوا من السند الى ثغور بلاد الافرنج طولاً ومن البحر الاحمر الى بلاد الخزر عرضاً ودخل فى حوزة ملكهم العرب وديار الشام والعراق والجزيرة ومصر والبجة وبرقة

وتونس ومراكش وطرابلس الاندلس وارمينة وخراسان وفارس وتوران والديلم وبلاد الران وطبرستان وجرجان وسجستان وخوارزم وماوراء النهر وبلاد الخزر وافغانستان والسند وبعض بلاد الهند فمن يدانيهم من الملوك فى سعة الملك و من يباريهم فى كثرة الفتوح،

استتباب امور الملك و الرعية ليس فى سعة الملك كبير فضل اذ الم يكن هنا تانق فى امور المملكة ونظر فى امور الرعية وقيام بمصالح العباد وتشمير فى عمارة البلاد ولذلك الذين فتحوا البلاد ولم ينظروا فى امور اهلها ليسوا عند ذوى الخبرة من اهل التاريخ اسمى منزلة واعلى مكانة من قطاع الطريق الذين يعثون فى الارض مفسدين اما ملوك بنى امية فقد جمعوا بين سعة الملك والنظر فى امور العباد وكثرة الفتوح وعمارة البلاد حفروا الانهار وعمروا الطرق وشادوا المصانع وابتنوا المساجد وبذلوا الاموال وقضوا الحوائج وكتفوا المظالم واغنموا المجذمين والعميان والمقعدين و الصعاليك بالجزيل من الاحسان واجروا لهم الارزاق ثم رتبوا المصالح ودونوا الدواوين و حصنوا الحصون وبنوا المدن والقصور،

فقد مر من ذلك شئ كثير فيما تقدم من سيرهم واعمالهم واليك هذه العجالة التى هى كالطل من الوبل ما المصانع فانه حصن هشام المثقب على يد حسان بن ماهون الانطاكى وحفر له خندقا وبنى حصن قطرغاش وحصن مورة و حصن بوقا من عمل انطاكية وبنى سعيد بن عبد الملك سور الموصل و هو الذى

هدامه الرشيد وفرش الموصل بالحجارة ابن تليد صاحب شرطة المروانيين وسار العباس بن الوليد الى مرعش فعمرها وحصنها ونقل الناس اليها وبنى لها مسجدا جامعا واسكن مسلمة بن عبد الملك مدينة الباب اربعة وعشرين الفا من اهل الشام على العطاء وبنى هريا (مخزنا) للطعام وهريا للشعير وخزانة للسلاح و امر بكبس الصهريج ورم المدينة وشرفها واحدث الحجاج احد امراءهم فى سنة ٨٣ مدينة واسط بين الكوفة والبصرة وبنى مسجدها وقصرها والقبة الخضراء بها واحدث سليمان بن عبد الملك فى ولايته مدينة الرملة ومصّرها وبنى فيها القصور ومسجدا وحفر الآبار والقنى والصهاريج وبنى احد قوادهم عقبة بن نافع الفهرى بافريقية قيروانها واحدثوا غيرها من المدن والحصون والارباض فى الاندلس وحدود بلاد الروم والسند،

ثم امّنوا الطرق وعمّروا السبل فكان موضع قيروان غيضة ذات طرفاء وشجر لا يرام من السبّاع والحيات والعقارب القتّالة فاحدثوا فيه تلك المدينة الزهراء فاصبحت طرق افريقية امنةً مستانسة بعد ما كانت مستوحشة ذات مخاوف ومهالك وكانت الطريق فيما بين انطاكية والمصيصة مسبعة يعترض للناس فيها الاسد فوجّه الوليد اليها اربعة الف جاموسة وجاموس فنفع الله بها واذكر ما كتب ابن الاثير فى حوادث سنة ٨٨ "ان الوليد كتب الى البلدان جميعها باصلاح الطرق وعمل الآبار" وكان الموضع الذى فيه

نهر سعيد بن عبد الملك غيضة ذات سباع فاقطعه اياها الوليد فحفر وعمر
ما هنالك ولما بغى سيل الجراف بمكة فى سنة ٨٠ فى زمن **عبد الملك** امر عامله
بعمل ضفاير الدور الشارعة على الوادى وضفاير المسجد وعمل الردم على افواه
السكك وحفر عدى عامل البصرة من قبل عمر بن عبد العزيز بامره نهر عدى[١]

ومن الاخبار التى تدل على شدة حبهم للرعية وكثرة بذلهم فى ازاحة
خللها واماطة اذاها انه شكا اهل البصرة الى عامل يزيد على العراق ملوحة
مائهم فكتب بذلك الى يزيد فكتب اليه ان بلغت نفقة هذا النهر خراج العراق
فانفقه عليه فحفر لهم النهر الذى يعرف بنهر ابن عمر وحفر عمالهم الجابرون
الغاشمون (كما يقول جرجى أفندى زيدان) والمنتسبون اليهم كثيرا من
الانهار غير ما ذكر كنهر معقل ونهر دبيس ونهر الاساورة ونهر عمرو ونهر
ام حبيب ونهر حرب ونهر يزيدان ونهر سلم ونهر نافذ ونهر خيرتان
ونهر مرة نهر مرة ونهر بشار ونهر بزور ونهر حبيب ونهر ذراع ونهر
ابى بكرة وغيره من الانهار وهذه الانهار كلها حفروها[١] بالبصرة فما بال
غيرها من البلاد،

اما ما بذلوا من الاموال وافرغوا من الجهد فى بناء المسجد النبوى
وتذهيب البيت والمسجد الاموى الذى هو معدود من احدى العجائب

---

[١] راجع لكل ذلك البلاذرى۔

في كثرة نفقاته وعظمة بناءه ودقة صنعه وبهجة منظره وحسن نظامه فهو اشهر من نار على علم

وبنو أُميَّة هم اول من اتخذ دار الضرب في الاسلام فكسوا به الاسلام رفعة واغنوه عن نقود الروم والفرس ونجّوه عمّا اوعده الروم بنقش شتم النبي صلى الله عليه وسلم عليها وهم الذين نقلوا الدفاتر والدواوين عن الفارسية والرومية والقبطية الى العربية[51] فزادت العربية انتشارا ونفوذا ولم يمض بُرهة من الدهر حتى اصبحت هذه البلاد عربية النزعة واللسان وهم اوّل من بنى مستشفى في الاسلام بنوه بدمشق سنة ثمان وثمانين جعلوا فيه الاطباء وامروا بحبس المجذمين واجروا لهم الارزاق وهم اول من انشاء دار اللعميان وهم اول من عمل دار الضيافة بعد[52] عمر بن الخطاب وهم اول من رتب للايتام وتحنن اليهم ورتب لهم المؤدبين ليعلموهم[53]،

نشر المعارف والعلم اما العلم فقد خرج بجرّه وزهر بدره فالقرآن الذي هو عمود الاسلام وراس العلوم وينبوع المعارف ادرك الامة قبل اختلافها فيه عثمان بن عفان وهو أمويٌّ ثم بعد ذلك اختلط العرب بالعجم واحتكّت بهم ففسدت لغتها واسلمت العجم فلم تستطع السلامة من اللحن فكثر التصحيف في القرآن

---

٥١ راجع لكل ذلك فتوح البلدان للبلاذري،

٥٢ اليعقوبي ذكر الوليد،

٥٣ السيوطي ذكر الوليد،

وانتشر بالعراق ففزع الحجاج وهو احد امراء بنی امیة الی کتابه فوضعوا النقط والاعجام[۱] فعصموا به کتاب الله ان یتطرق الیه التصحیف والتحریف تطرقهما الی التوراة والانجیل ووالله هذا اعظم مبرّة بُرّبها الاسلام لایسا ویها مبرّة واعظم منّة مُنّ بها علی الدین لایوازیها منة ثم کتب الحجاج المصاحف وفرّقها فی الامصار وکان الولید الذی رماه صاحبنا بالاستهانة بالقرآن یحث الناس علی حفظ القرآن وکان یجزل الصلات لحفظته ویضرب الذین لم یحفظوه[۲] فکثر حفظته وعظم قدرهم وجلت رتبتهم،

اما التفسیر ففی ایامهم نبغت اجلة المفسرین من التابعین وفی ایامهم دُوّن التفسیر فی الصحف فاول من وضع فی التفسیر ابن جبیر بامر عبد الملک[۳] ثم مجاهد

اما الحدیث فکانوا یدرون علی اهله الصلات ویبعثون الیهم بالهدایا ویجرون لهم الارزاق لینقطعوا الی حفظ الحدیث وروایته ونقله وکانوا یکرمون الفقهاء ویجلّون مقامهم ویراعون جانبهم فقد کان یصیح صایحٌ من بنی مروان فی موسم الحج الا لایفتی الناس الا عطاء بن ابی رباح، اجلالاً لشانه ولکثرة علمه بالمناسک[۴] وکان عبد الملک امر الحجاج هو امیره

---

[۱] ابن خلکان ذکر الحجاج، ء میزان الاعتدال للذهبی ذکر عطاء بن دینار،

[۲] العقد اخبار الولید وابن الاثیر سنة ۸۸،

[۳] ابن خلکان ذکر عطاء، [۴] مقدمة شرح الموطا للزرقانی،

على الموسم ان يقدم ابن عمر فى الحج ويقبض اثره فى المناسك وكان سالم
ابن عبدالله والقاسم بن محمد والشعبى وميمون بن مهران والزهرى و
ايوب بن ابى تميمه وقبيصة بن ذؤيب ورجاء بن الحيوة اعزة عند بنى امية
وكان اكثرهم عمالاً لهم وهم اساطين الحديث وايمة الرواية واعلام النقل
وانت تعلم ان احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لولا استودعت بطون
الصحف لضاعت بهلاك العلماء واسراع الموت فيهم فاسئلك بحرمة
التاريخ من امراء اهل هذا الشان بتدوينها فى الكتب اليس هو عمر بن عبد العزيز
الاموى فجاء فى الاثار ان عمر بن عبد العزيز كتب الى الافاق "انظروا حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه" وكتب الى ابى بكر بن حزم راس
المحدثين ان انظر ما كان من سنة او حديث فاكتبه لى فانى خفت دروس العلم
وذهاب العلماء وقد كتب ابن حزم كتبا فى الحديث فتوفى عمر ثم وضع الكتب فيه
ربيع بن صبيح وكان عمر بن عبد العزيز يكتب الى الامصار يعلمهم السنن والفقه[له]

اما اصول اللغة ونحوها فقد كان تدوينها بامر امراء بنى امية ذكر
ابن خلكان (المجلد الاول صفحة ۲۴۰) ان ابا الاسود الدؤلى استاذن زياد بن ابيه
وهو والى العراقين يومئذ ان يضع للعرب ما يقيمون به لسانهم فابى ثم بدا له
صواب رايه فدعا الدؤلى وقال له ضع للناس الذى نهيتك ان تضع لهم

[له] مقدمة الزرقانى على الموطا

فوضعه واخذ عنه ما وضعه عتبة بن مهران المهري وعنه ميمون وعنه عبد الله الحضري وعنه عيسى بن عمر وعنه الخليل[ك] وهؤلاء كلهم كانوا فى عصر بنى امية وهم واضعوا النحو ومدونوا اصوله،

اما الشعر فقد فتق عصرهم فتقت السنة الشعراء وارتفع قدرهم وانتشر ذكرهم ففحول الشعر وامراء القول وفرسان القريض هم الفرزدق الدارمى وجرير الخطفى ثم الاخطل التغلبى ثم عمر بن ابى ربيعة القرشى ثم كثير عزة وجميل بثينة ومجنون ليلى وذو الرمة غيلان ثم نصيب فهؤلاء كلهم كانوا يقصدون نحو بجياد قصائدهم فكانوا يغمرونهم بالجوائز فطلقت السنتهم بما اصبح زهرة للادب وزينة للغة،

وكانوا يحثون الناس على اقتناء الادب وتناشد الشعر وتدارس اخبار الشعراء وكانوا يستوفدون الشعراء ويستزيرونهم ويجيزونهم بالاموال الجزيلة وكانوا يرسلون ابناءهم الى البادية ليتسلقنوا الادب ويتلقفوا اللغة من افواه الاعراب واهل البادية وقد جمع الوليد بن يزيد عبد الملك ديوان العرب واشعارها واخبارها وانسابها ولغاتها[ل]،

اما علم التاريخ والسير والمغازى فبعصرهم افتتح عصره وبامرهم ارتفع امره ففحول اصحاب السير والمغازى هم وهب بن منبه عالم اليمن المتوفى سنة ١١٤ ومحمد بن مسلم الزهرى صاحب عبد الملك المتوفى سنة ١٢٤

[ك] ابن خلكان المجلد ٢ صفحة ٣٨٠، [ل] الفهرست صفحة ٩١،

وموسیٰ بن عقبہ المتوفی سنہ ۱۴۱ وھؤلاء کلھم کتب فی التاریخ والسیر والمغازی[۱]
ووضع فی ایامھم عوانۃ المتوفی سنہ ۱۴۷ کتاب التاریخ وکتاب سیرۃ معاویۃ و
بنی امیۃ وکان لملوک بنی امیۃ رغبۃ شدیدۃ فی استطلاع الاخبار الماضیۃ و
حوادث الامم الخالیۃ قال المسعودی انہ کان معاویۃ یجلس لاصحاب الاخبار
فی کل لیلۃ بعد العشاء الی ثلث اللیل ثم ینام ثلث اللیل ثم یقوم فیاتیہ غلمان
وعندھم کتب فیقرؤن علیہ ما فی الکتب من اخبار الامم وسیر الملوک وسیاسات
الدول ولم یصبر علی ذلک حتی استحضر عالم عصرہ عبید بن شریہ من
صنعاء الیمن وسألہ عن الاخبار المتقدمۃ وملوک العجم وسبب تبلبل الالسنۃ
وامر افتراق الناس فی البلاد وامرہ ان یدون ما علمہ وعاش عبید الی ایام
عبد الملک وتوفی ولہ من الکتب کتاب الامثال وکتاب اخبار الماضیین[۲]
واخذ عنہ اناس سماھم ابن الندیم وکان من رواتہ زید الکلابی فی ایام
یزید بن معاویۃ عارف بایام العرب واحادیثہا (الفہرست صفحہ ۹۰) وقد
کان ھشام مشغوفا بالسیر والاخبار فنقل لہ جبلۃ بعض کتب سیر الفرس
من الفارسیۃ الی العربیۃ وامر ھشام النقلۃ فنقلوا لہ کتاب تاریخ ملوک الفرس
وقوانین دولتھم وتراجم رجالھم وکان ھذا الکتاب مصورا ثم نقل سنہ ۱۱۳

---

[۱] راجع کشف الظنون وتذکرۃ الحفاظ،

[۲] کتاب الفہرست صفحہ ۱۳۲،

راه المسعودی سنة ۳۰۳ فی مدینة اصطخر کما ذکر فی التنبیه (صفحة ۱۰۶)،

اما علوم الفلسفة ومنها الطب والکیمیاء فکان لهم فی نقلهما الی العربیة

آثار صالحة فنقل ابن اثال لمعاویة کتب الطب من الیونانیة وهذا اوّل نقل فی

الاسلام وکان فی البصرة فی ایام مروان بن الحکم طبیب ماهر یهودی النحلة

عارف بالعربیة اسمه ماسرجویة فنقل ماسرجویه هذا کناش القس اهرون

ابن اعین فی السریانیة الی العربیة فلما تولی عمر بن عبد العزیز وجد هذا

الکتاب فی خزاین الکتب فی الشام فاخرجه الی الناس وبثّه فی ایدیهم وخالد

بن یزید بن معاویة حکیم آل امیّة اول من طلب علوم الفلسفة فی الاسلام

وخبره انه کان یطمع فی الخلافة فلما وثب مروان علیها رغب خالد عنها الی

طلب العلم فاستقدم جماعة من فلاسفة الیونانیین ممن کان ینزل مدینة مصر

ومنهم مریانوس الرومیّ الذی اخذ عنه صنعة الکیمیا والطب وامرهم بنقل

الکتب من الیونانیة والقبطیة الی العربیة فنقلوها له ولخالد کلام فی الکیمیا و

الطب وکان بصیرًا بهذین العلمین متقنا لهما وله رسایل دالّة علی معرفته

وبراعته کما اخبر به ابن خلکان وقد ذکر له ترجمة صالحة ابن الندیم فی فهرسته

ونقل سالم کاتب هشام وهو ابو جبلة المارّ ذکره رسایل رسطاطالیس الی

الاسکندر فبناءً علی ما قدمنا من القول بنو امیة هم اول من استقدم الفلاسفة

له اخبار الحکما، وعیون الانباء،

واستدناهم في الاسلام هم اوّل من امر بنقل العلوم الى العربية في الاسلام هم اول من انشأ خزاين للكتب في الاسلام وقد اضربنا صفحا عما كان للأمية بالاندلس في السياسة والعلم من المآثر الحسنة والاعمال الجليلة والسير العادلة فهل لك ايها الفاضل المؤلف الى الاذعان للحق من سبيل والى الرجوع من ضلال الراي من طريق،

صنيع المولف بالعباسية عهدنا الوحوش الضارية مع جفاء طبعها وقسوة قلبها وكونها مطبوعة على الافتراس والفتك والتروى بالدم اذا دخلت غابتها واحاطت بها عايلتها تبدل القسوة بالرحمة والغلظة باللطف والغضب بالحنان فبينما احدها عبوس كاشر عن الانياب كالح الوجه مستبشع المنظر كريه الهيئة اذ هو هش بش حنون عطوف يذوب لطفا ورقة وكذلك شان قواد الجند وابطال الحروب فانك ترى احدهم اذا قاتل الاكفاء وناطح الاقران فهو شهاب ينقض ونار تلتهب وسعير تفور واذا عاشر الاصحاب فهو الينهم جانبا واحلاهم خلقا واوسعهم حلما وارقهم طبعا وقد جربنا المولف وعجمنا عوده في معاملته مع اعدايه (بني امية) فلننظر كيف حاله في معاشرته مع اصدقايه (العباسية)

قال المولف،

"فحبب بعضهم الى المنصور ان يستبدل الكعبة بما يقوم مقامها في العراق

تكون حجا للناس فبنى بناء سماه القبة الخضراء تصغير الكعبة وقطع الميرة

فی البحر عن المدینة" (الجزء الثانی صفحة ۳۰)

وقال،

"واراد المعتصم ان یستغنی عن بلاد العرب وقد بنی سامرا بقرب بغداد واقام فیها جنده فانشاء فیها کعبة وجعل حولها طوافا واتخذ منی وعرفات" (الجزء الثانی صفحة ۳۲)

وقال،

فلما افضت الخلافة الی المامون فاخذ اشیاعه وصرح باقوال لم یکونوا یستطیعون التصریح بها خوفا من غضب الفقهاء و فی جملتها القول بخلق القرآن ای انه غیر منزل (الجزء الثالث صفحة ۱۴۱)

غیر خاف علی احد ان العباسیة ان افتخروا وتطاولوا علی منازعیهم فی الریاسة فمعظم فخرهم وابین حججهم انهم بنو عم النبی وسدنة البیت وخدمة الحرم وَدُعاة الاسلام ونقباء القرآن وصاحبنا یقول ان المنصور وهو موسس دولتهم وفاتحة خلفاءهم بنی القبة الخضراء ارغاما للکعبة وقطع المیرة عن المدینة تضییقا علی اهلها وان المامون وهو افضل خلفاءهم دینا وورعا کان ینکر نزول القرآن وان المعتصم وهو نحلهم وواسطة عقدهم بنی کعبةً فی سامرا وجعل لها طوافًا" ولعلک تقول ان الحاکم بالعدل والقایم بالقسط لیس له حمیم ولا عدو فهو یتحری الصدق ویدا ویدع الحق کیفما دار

فالمولف اذا اتتها سيئة من بني العباس قضى عليهم من غير محاباة بهم ولا ميلٍ اليهم وكذلك اذا عرضت له حسنةٌ من بني امية فهو يُوفّي حقهم من الاستحسان وحسن القول وتنويه الذكر هيهات هذا كان رجاؤنا فخاب الظن وكذب الامل وذهب الثقة فان المولف لما ذكر بني امية عقد لمثالبهم ابوابا منها استخفافهم بالدين وذكر فيه قتال عبد الملك مع ابن الزبير فقلب الرواية كما اسبقنا ذكره فلو كان مغزى المولف الصدق وبيان الحقيقة لكان يعقد بابا للعباسية ايضا يذكر فيه استخفافهم بالكعبة وانكارهم لنزول القرآن وههنا موضع نظرٍ الى دقة مكيدة المؤلف وحسن احتياله فانه يريد من طرف الغض من الكعبة والحط من القرآن ومن طرف الانتصار للعباسية والذب عنهم لاجل انهم كسروا شوكة العرب واتخذوا العجم بطانتهم وعمود دولتهم فذكر استخفافهم بالكعبة ولكن مغموسًا مبدداً تحت عنوان ثروة الدولة الاسلامية ليأخذ بطرفي المطلوب ويفوز ببغيتيه معًا،

امّا كشف الجلية عن اصل الحال فالامر انّ من يدعي الخلافة (وهي منصب ديني) ويرشح لها نفسه لا يجد الى ذلك سبيلا الا بالتظاهر بالدين والتصبّغ به ونصب نفسه لاعلاء كلمته ورفع مناره وحمل الناس على تعظيم شعائره والتدلي الى خاصة القائم به ليجلب عطف القلوب وجذب الاميال ورضاء العامة والتحبب الى الناس لذلك كان الخلفاء من بنو امية

والعباسية كلاهما) يصلّون بالناس ويؤمّونهم ويحضرون الموسم ويحجون بهم اويرسلون من خاصتهم من ينوب منابهم ويخطبون على المنابر ولذلك لما اراد اهل الشام المكيدة بعلى رضى الله عنه ورفعوا المصاحف كف اصحاب عليّ من القتال ولما قال عليّ هذه خديعة منهم قالوا اذا لم تدعن هذا خلعناك فلم يقدر على خلافهم ورضى بما لم يكن وفق رضاه ولما فعل يزيد ما فعل ضجّ الناس وكادوا يسطون عليه لولا انه مات عاجلا ولما اراد الحجاج قتال ابن الزبير اغراهم بأن ابن الزبير الحد فى الدين وزاد على الكعبة ولذلك نصب المناجيق تلقاء الزيادة التى كان زادها ابن الزبير رض ولما جاهر الوليد ابن يزيد بالفسق قاموا عليه وقتلوه ولما قال ابو نواس يمدح الامين وصدر القصيدة بهذا البيت

الا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر ولا تسقنى سرا فقد امكن الجهر

اتخذ المامون هذا وسيلة لاغراء الناس على مخالفة الامين فهل تصدق بعد كل ذلك بأن المنصور او المعتصم كان يقدر او يسوغ له ان يصغر شان الكعبة ويمس من شرفها وهل كان يقدر المامون ان يحمل الناس على انكار القران والعياذ بالله - فاما استشهاد المؤلف فى هذه الواقعة بابن الاثير وغيره فكله تحريفٌ وتدليسٌ وسوءُ تأوّلٍ ولولا انى سئمت من كشف دسائسه مرة بعد اخرى لاوضحتُ الامر وبيّنت حقيقة الحال،

قال المؤلف ولما تولى المعتصم سنة ٢١٨ واصطنع الاتراك والفراغنة

ازداد العرب احتقارا فى عيون اهل الدولة وتقاصرت ايديهم عن اعمالها حتى فى مِصْرَ فاَصْبَحَ لفظ العربِى مرادفا لاحقر الاوصاف عندهم ومن اقوالهم العربى بمنزلة الكلب اطرح له كسرة واضرب راسه وقولهم لا يفلح احد من العرب الا ان يكون معه نبىٌّ ينصره الله به (الجزء الثانى صفحه ٣١ و ٣٢)

من احسن اعمال آل عباس عند المولف انهم صغّروا اشان العرب و ساموها الخسف وسلّطوا عليهم الاعاجم والاتراك وجعلوهم ولاة البلاد بيدهم الامرُ والنهى والرفع والخفض والعقد والحل والنقض والابرام ذكر ذلك فى غير مواضع وكلما ذكر وجد من نفسه ارتياحًا اليه وشفاءً لحزازته وهِزةً لعطفه ونيلًا لاربه ومع ان الواقعة مكذوبة او محرّفة على جرى عادته فنحن لا ننازعه فى ذلك ونطوى الحديث على غرته ولكن نقول ذا مدح احدٌ مثلا دولة افرنسا وقال انهم ذللوا الفرنساويين وارغموا انفهم واستلبوهم المناصب وقلّدوا الولايات الاجانب وجعلوهم قابضى ازمّة الامور يولّون ويعزلون وينفقون ويمسكون فهل هذا يكون مدحًا ترضى به دولة فرنسا اويكون هذا عارا يستحى منه ومسبّة يستنكف عنها وشناعة تشمأزُّ عنها القلوب وانصف من نفسك ما كان حظُّ العباسيين من تولية الاعاجم اما آل برمك فلا ننكر فضلهم ومحاسن آثارهم ولكنهم مع كل ذلك استاثروا بالاموال وانفردوا بالاعمال حتى لم يكن حظّ الخلفاء من الخلافة

الا الاسم فقط فاضطرّ الرشيدُ الى لنكبة بهم و ازالة دولتهم واما الاتراك
فصاروا يلعبون بالخلافة كل ملعب فكم قتلوا من الخلفاء و سجنوهم و عذبوهم
بانواع العذاب وتركوهم يموتون جوعًا يسألون الناس ولا يعطون فهل هذه
سياسةٌ تمدح ومأثرة تذكر وفضيلة تفتخربها۔

الخلفاء الراشدون المولف حرفته تاليف الكتب متكسبا به وهو
يعرف حق المعرفة انه لو انتقد على الخلفاء الراشدين و نال منهم تصريحا
كسد سوقه وخاب صفقته۔ فدبّر لذلك حِيَلًا يكاد لا يتفطن لها اللبيب المتيقظ
فضلا عن البليد المتساهل فعمد الى رؤس المثالب ونسبها اليهم بانواع
الاحتيال فتارة بتبديدها فى ثنيّات الكلام وابعادها عن موضع العناية و
تارةً بايرادها عرضا موهما عدم الاعتناء بها وتارة بذكرها محتالا لها عذرًا
واذا كرّرت النظر فى كلامه وتصفحت ما فيه وجمعت ما هو مبدّدٌ ونظمت
ما هو مفرّق تكاد تستيقن ان الخلفاء كانوا من اشدّ اعداء العلم وانهم ابادوا
الكتب والخزانات واضطهدوا اعلى اهل الذمة وجعلوهم اذلاء لا يؤذن
لهم ولا يوبه بهم،

اما كونهم اعداء العلم فبيّن المؤلف ذلك اجمالا وتفصيلا فقال،

"كان الاسلام فى اول مرة نهضة عربيّةً والمسلمون هم العرب كان
اللفظان مترادفين فاذا قالوا العرب ارادوا المسلمين وبالعكس ولاجل

هذه الغاية امر عمر بن الخطاب باخراج غير المسلمين من جزيرة العرب وتمكن هذا الاعتقاد فی الصحابة لما فازوا فی فتوحهم وتغلبوا على دولتی الروم والفرس فنشا فی اعتقادهم انه لا ینبغی ان یسود غیر العرب ولا یتلی غیر القرآن"

"اما فی الصدر الاول فقد کان الاعتقاد العام ان الاسلام یهدم ما کان قبله فرسخ فی الاذهان انه لا ینبغی ان ینظر فی کتاب غیر القرآن"

"فتوطدت العزایم علی الاکتفاء به عن کل کتاب سواه ومحو ما کان قبله من کتب العلم فی دولتی الروم والفرس کما حاولوا بعدئذ بهدم ایوان کسری واهرام مصر وغیرها من آثار الدول السابقة"

(الجزء الثالث صفحه ۳۹)

"وبناءً علی ذلك هان علیهم احراق ما عثروا علیه من کتب الیونان والفرس فی الاسکندریة وفارس (الجزء الثالث صفحه ۱۳۵)

حریق الخزانة الاسکندریة لم یقتنع المؤلف بذلك فعقد باباً لاثبات ان حریق الخزانة الاسکندریة کان بامر عمر بن الخطاب واطال واطنب فی ذلك واستدل علیه بستة دلائل نحن نذکرها مع الرد علیها اجمالاً،

قال اولاً،

ـــه الجزء الثالث من تمدن الاسلام،

"قد رايت فيما تقدم رغبة العرب فى صدر الاسلام فى محو كل كتاب غير القرآن بالاسناد الى الاحاديث النبوية وتصريح مقدمى الصحابة،،

الذى ذكر قبل ذلك (انظر صفحة ٣٩) وحوّل عليه ههنا اقوال منها "ان الاسلام يهدم ما كان قبله" وكلنا يعرف ان المراد به ابطال عوايد الجاهلية ومزعوماتها وليس المراد محو الكتب او احراق الخزاين ولكن لما كان المؤلف دخيلا فينا غريب الذوق والمعرفة حمل الكلام على غير محله اولعله عارف يتجاهل وبصير يتعامى

ومنها قول النبى عليه السلام "لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنّا بالذى انزل علينا وانزل عليكم والهنا والهكم واحدٌ،، ولا شيء متعلق فى هذا بل هو يخالف لما يريده المؤلف فان الحديث يامر بالايمان بما انزل الى اهل الكتاب اما الاغفال عن تصديق اهل الكتاب وتكذيبهم فلاجل كون اهل الكتاب غير موثوقين بهم فى الرواية ومنها ان النبى صلى الله "راى فى يد عمر ورقة من التوراة فغضب حتى تبين الغضب فى وجهه ثم قال لم اتكم بها بيضاء نقية والله لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعى" وهذا لا مستند فيه للمولف فان النبى صلى الله عليه وسلم خاف على عمر عنايته بالتوراة والتصديق بكل ما فيها مع كونها مغيرة لعبت بها ايدى النقلة ولذلك قال لم اتكم بها بيضاء نقية، وهذا لا يستلزم بل ليس فيه

ادنی اشارۃ الی محوہما والحاقہ لضربہا ونزیدک ایضاحاً للکلام بما فیہ ثلج الصدر وفصل الخطاب، فاعلم ان عمود الاسلام وقطب رحاہ ہو **القران** وعلیہ المعوّل وہو المستمسک فی کل باب وکان ہو العروۃ الوثقی فی ہذا العصر للصحابۃ واہل القرن الاوّل و **القران** لہ عنایۃ کبری بالتوراۃ والانجیل وہو الذی نوّہ بذکرہما وعظم شانہما، **فقال**

فاسئلوا اہل الذکر ان کنتم لا تعلمون والمراد بالذکر التوراۃ،

انا انزلنا التوراۃ فیہا ہدی،

ولو انہم اقاموا التوراۃ والانجیل وما انزل الیہم من ربہم لاکلوا من فوقہم ومن تحت ارجلہم،

مصدقا لما بین یدی من التوراۃ،

مصدقا لما بین یدیہ من التوراۃ،

ما کان حدیثا یفتری ولکن تصدیق الذی بین یدیہ (ای التوراۃ والانجیل)

ولاجل ذلک کان عدۃ من اجلۃ الصحابۃ منقطعین الی قرءۃ التوراۃ والانجیل والاعتناء بحفظہما ودرسہما ولم یکتفوا بہا بل اخذوا یروون ویتفاوضون کل ما وجدوا من اقاصیص اہل الکتاب ومرویاتہم وقد اعترف بذلک المولف نفسہ فقال،

"وقد رایت ان العمدۃ فی التفسیر علی النقل بالتواتر والاسناد من النبی

فالصحابة فالتابعين، والعرب يومئذ اميون لا كتابة عندهم فكانوا اذا تشوقوا الى معرفة شئ مما تتوق اليه نفوسهم البشرية من اسباب الوجود وبدء الخلقة واسرارها سالوا عنه اهل الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى، فكانوا اذا سئلوا عن شئ اجابوا بما عندهم من اقاصيص التلمود والتوراة بغير تحقيق فامتلات كتب التفسير من هذه المنقولات (الجزء الثالث صفحة ٦٤)

وذكر المؤلف عقيب ذلك وهب بن منبه وانه قرء من كتب الله ٧٢ كتابا ثم قال،

"فكان للعرب ثقة كبرى فيه"، وقال بعد ذلك فكانت كتب التفسير في القرون الاولى محشوة بالاخبار وفيها الغث والسمين مما نقل اليها من الاديان الاخرى"،

فانظر كيف يناقض المولف نفسه فقال،

"فنشاء في اعتقادهم انه لا ينبغي ان يسود غير العرب ولا يتلى غير القرآن

"فرسخ في الاذهان انه لا ينبغي ان ينظر في كتاب غير القرآن"،

"فتوطدت العزايم على الاكتفاء به (اى القرآن) عن كل كتاب سواه ومحو ما كان قبله من كتب العلم"،

ويقول الآن ان كتب التفسير في القرون الاولى محشوة بالاخبار.....

مما نقل اليها من الاديان الاخرى وانه كان للعرب ثقة كبرى فى وهب بن منبه وان كتب التفسير امتلاءت من منقولات اهل الكتاب" فلو كان اهل القرن الاول يبغضون ما سوى القرآن ويمحون ما كان قبله من العلم كما يدعيه المؤلف فمن روى الاسرائيلات واقاصيص التلمود والتوراة وحشاها فى التفسير ولما كان المسئلة موضع زيادة تفصيل نزيد له توضيحا وتفصيلا ،

كانت لعدة من الصحابة وكبراء التابعين عناية كبرى بالتوراة وغيرها من الكتب السماوية فمنهم ابوهريرة الذى كان ملازما للنبى عليه السلام منقطعا الى الرواية ، لم يدانيه احد فى كثرة الرواية كان مشغوفا بقراءة التوراة ودرسها قال العلامة الذهبى فى طبقات الحفاظ فى ترجمته "عن ابى رافع عن ابى هريرة انه لقى كعبا (وهو حبر اليهود) فجعل يحدثه ويسأله فقال كعب ما رايت احدًا لم يقرء التوراة اعلم بما فيها من ابى هريرة"

ومنهم عبد الله بن عمرو بن العاص اسلم من هاجر قبل الفتح، قال الذهبى فى طبقات الحفاظ "كان من اياء النبى صلعم قواما تاليا لكتاب الله طلابة للعلم كتب عن النبى صلى الله عليه وسلم علما كثيرًا + + وكان اصاب جملة من كتب اهل الكتاب وادمن النظر فيها ورأى فيها عجايب،

ومنهم عبد الله بن سلام حليف الانصار اسلم وقت مقدم النبى وفيه ورد قوله تعالى ومن عنده علم الكتاب نقل الذهبى بعد ذكر فضايله

وكونه عالم اهل الكتاب رواية بالاسناد يرفعه الى عبد الله بن سلام انه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى قرءت القرآن والتوراة فقال اقرء هذا ليلةً وهذا ليلةً، فهذا ان صح ففى الرخصة فى تكرير التوراة وتدبرها،

ومنهم **كعب الاحبار** كان من كبار اهل الكتاب، اسلم فى زمن ابى بكر قال الذهبى قدم من اليمن فى دولة امير المومنين عمر فاخذ عنه الصحابة وغيرهم واخذ هو من الكتاب والسنة عن اصحابه، فهذا كانه تصريح فى ان الصحابة اخذوا عنه علم اهل الكتاب،

ومنهم **وهب بن منبه** قال الذهبى فى ترجمته "وعنده من اهل الكتاب شئ كثير فانه صرف عنايته الى ذلك، وكان ثقة واسع العلم ينظر بكعب الاحبار فى زمانه، وعن وهب قال يقولون عبد الله بن اسلام اعلم اهل زمانه وكعب اعلم اهل زمانه،

فهل بعد كل هذا يصح قول المولف، ان الصحابة ومن يليهم كانوا يقولون انه لا ينبغى ان يقرء كتابٌ غير القرآن ومحوا ما كان قبلهم من العلم عياذاً بالله،

قال المولف

ثانياً جاء فى تاريخ مختصر الدول لابى الفرج" ثم نقل رواية الاحراق برمتها واطال فى اثبات ان ابا الفرج ليس باول من روى هذه الرواية

بل ذكرها عبد اللطيف البغدادی عرضا فی ذكره عمرو الواری و ذكرها القفطی فی تاریخ الحكماء"

لا ننازع المولف فی ان ابا الفرج مسبوق فی ذكر هذه الروایة بالقفطی والبغدادی ولكن ماذا ینفعه ذلك فان البغدادی وهو اقدمهما من القرن السادس للهجرة وذكر الروایة من غیر اسناد ومن غیر احالة علی كتاب

تعود المولف من صباه بقبول مختلقات اهل الكتاب واوهامهم فسبب ذلك انه یزن التاریخ الاسلامی بمیزانٍ غیر میزاننا ولذلك یصغی الی كل صوتٍ ویستمع لكل قائل لا یعرف ان هذا الفن له اصول و مباد و قواعد وما لم یكن الروایة مطابقة لهذه الاصول الیقینیة لا یلتفت الیها اصلا منها ان الناقل للروایة لابد ان یكون شهد الواقعة فان لم یشهد فلیبین سند الروایة ومصدرها حتی یتصل الروایة الی من شهدها بنفسه

ومنها ان یكون رجال السند معروفین بصدقهم ودیانتهم،

ومنها ان لا یكون الروایة تخالف الدرایة ومجاری الاحوال،

ولذلك اهتم مورخو الاسلام قبل كُلّ شئ بضبط اسماء الرجال والبحث عن سیرهم واحوالهم ودیانتهم ومحلهم من الصدق فدوّنوا كتب اسماء الرجال وكابدوا فی ذلك محنة یضیق عنها النطاق البشری فعملوا كتبا غیر محصورة منها الكامل لابن عدی والثقات لابن حبان و تهذیب

الكمال للمزی وتهذیب التهذیب لابن حجر وطبقات الصحابة لابن سعد ولابن ماکولا وابن عبد البر ولابن الاثیر ولابن حجر وتهذیب الاسماء للنووی ومیزان الاعتدال للذهبی ولسان المیزان لابن حجر۔

وتجد کتب القدماء من مورخی الاسلام کلها او اکثرها کتاریخ البخاری وسیرة بن اسحاق وتاریخ الطبری وابن قتیبة وغیره مسلسل الاسناد مبنیة الاسماء لیمکن نقد الروایة ومعرفة جیدها من زیفها،

فاوّل شیٔ یهمنا فی هذا البحث ان نری هل ذکر القفطی والبغدادی هذه الروایة مسندة وذکرا مصدر الروایة واسماء رواتها ام لا،

وانت تعلم ان البغدادی والقفطی من رجال القرن السادس والسابع فایّ عبرة بروایة تتعلق بالقرن الاول یذکرانها من غیر سندٍ ولا روایة ولا احالة علی کتاب،

اما کتب القدماء الموثوق بها فلیس لهذه الروایة فیها اثر ولا عین هذا تاریخ الطبری والیعقوبی والمعارف لابن قتیبة واخبار الطوال للدنیوری وفتوح البلدان للبلاذری والتاریخ الصغیر للبخاری وثقات ابن حبان والطبقات لابن سعد قد تصفحناها وکررنا النظر فیها ومع ان فتح الاسکندریة مذکور فیها بقضها وقضیضها لیس لحریق الخزانة فیها ذکر،

وعلاوة علی ذلک فان فی فتح مصر کتبا مختصة بذلک مثل خطط مصر

للكندي وكشف الممالك لابن شاهين، وتاريخ مصر لعبد الرحمن الصوفي و
تاريخ مصر لابن بركات النحوي وتاريخ مصر لمحمد بن عبد الله وغيرها مما ذكرها
صاحب كشف الظنون، **والمقريزي** جمع واوعى كل ذلك ولم يترك رواية
ولا خبراً يتعلق بمصر الا وذكره عند تفصيل الفتح ولم يذكر هذه الواقعة عند
ذكر فتح الاسكندرية،

قال المولف،

واما خلو كتب الفتح من ذكر هذه الحادثة فلابد له من سبب والغالب انهم
ذكروها ثم حذفت بعد نضج التمدن الاسلامي واشتغال المسلمين بالعلم
ومعرفتهم قدر الكتب فاستبعدوا حدوث ذلك في عصر الخلفاء الراشدين
فحذفوه ولعل لذلك سبباً أخر،، (الجزء الثالث صفحه ٤٥)

لا يستبعد مثل هذا الكلام عن مثل المؤلف وكيف يقدر ديانة مورخي
الاسلام وشدتهم في تحري الصدق ونزاهتهم عن التغيير والتحريف وبراءة
ساحتهم عن الحذف والاسقاط، من صار غريزته تعمد الكذب والتحريف
والخيانة والمحو والاثبات:

قال المولف،

ثالثا ورد في ما كن كثيرة من تواريخ المسلمين خبر احراق مكاتب فارس
وغيرها على الاجمال وقد لخصها صاحب كشف الظنون، (الجزء الثالث صفحه ٤٢)

انظرالى هذا الكذب الفاحش والخديعة الظاهرة فان صاحب الكشف ذكر ما ذكر من عند نفسه من غير نقل رواية ولا استناد ولا استشهاد بكتاب ولا ذكر ناقل ومورخ وصاحبنا يقول انه ورد فى اماكن كثيرة من تواريخ المسلمين خبر احراق المكاتب وقد لخصها صاحب كشف الظنون فاين الاماكن الكثيرة واين التلخيص اما قول صاحب كشف الظنون فقد ورد عرضا وتطفلا وكذلك قول ابن خلدون و وامثال هذه المواقع لا تحتاج الى كبير اعتناء وزيادة احتياط ولذلك لما ذكر ابن خلدون فتح مصر واسكندرية وهو المظنة لذكر هذه الواقعة لم يتفوه بهذه الرواية اصلا ثم ان ابن خلدون وصاحب كشف الظنون من رجال القرن الثامن وبعده فما لم يذكرا انهما من اين اخذا هذه الرواية لا يعبأ بها ولا يلتفت اليها،

قال المولف،

رابعا ان احراق الكتب كان شايعا فى تلك العصور كما فعل عبدالله بن طاهر بكتب فارسية (الجزء الثالث صفحه ٤٥)

يا للعجب، **عبدالله بن طاهر** من قواد المامون ومن رجال الادب وهذا العصر ممتاز بكونه عصر العلم والمعارف وقد كانت للدولة ورجال حاشيتها وغيرهم عناية كبرى بكتب الاوائل وكانوا يستجلبون الكتب من فارس وبلاد الروم وغيرها تجد تفاصيل ذلك فى فهرست ابن النديم

وطبقات الاطباء واخبار الحكماء وغيرها فكيف يعوّل على هذه الرواية التي ما ذكرها احدٌ من ثقات المورخين وانما استند المولف ببراون المعلم الانكليزي وهو نقلها من تذكرة دولت شاه وهو كتابٌ جامعٌ لكل غثٍ وسمين، ولو صحّ نقلها لكانت على سبيل الندرة والشذوذ فهل يصح قول المولف انّ إحراق الكتب كان شايعًا في تلك العصور،

قال المولف، خامسا،

ان اصحاب الاديان في تلك العصور كانوا يعدّون هدم المعابد القديمة واحراق كتب اصحابها من قبيل السعي في تائيد الاديان الجديدة،

(ثم ذكر في تائيد ذلك عمل امبراطوراة الروم واحراق كتب المعتزلة،

نعم ولكن الراشدين لا يقاسون بغيرهم، ثم ان المسئلة ليست قياسية فما لم تثبت بالرواية لا ينفع مجرد القياس،

قال المولف، سادسا،

في تاريخ الاسلام جماعة من ايمة المسلمين احرقوا كتبهم من تلقاء انفسهم،

(ثم ذكر بعض الحوادث في تائيد ذلك،)

عجبًا لمثل هذا الاستدلال، فان المرء يجوز له ان يفعل بملكه ما يشاء واىُّ حجةٍ في ذلك لاحراق كتب قوام اٰخر،

اِنّ هذه القياسات الواهية لا تغني شيئًا ولكن لو اردنا ان نستشفي

فی ذات البحث بالقیاس والامارات فعلینا ان ننظر ما کان صنیع الخلفاء الراشدین باثار اهل الذمة ومعابدهم وکنائسهم وامتعتهم وخزاینهم، ان الاصل فی ذلك عهد النبی صلی الله علیه وسلم الذی کتبه لاهل نجران وقد ذکره القاضی ابو یوسف فی کتاب الخراج بحروفه

ولنجران وحاشیتها جوار الله وذمة محمد النبی رسول الله علی اموالهم وانفسهم وارضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشیرتهم وبیعهم وکل ما تحت ایدیهم من قلیل وکثیر (کتاب الخراج طبع مصر صفحة ۴۱)

فکان هذا العهد هو العمدة للصحابة عضوا علیه بالنواجذ وتجد فی کل عهود الخلفاء الراشدین کعهد نجران ومصر وشام والجزیرة ان هذا الاصل ای ذمة الله ورسوله علی ارضهم وکل ما تحت ایدیهم من قلیل وکثیر محفوظ باقٍ علی حیالته الاصلیة وعهد مصر هو هذا۔

"هذا ما اعطی عمرو بن العاص اهل مصر من الامان علی انفسهم ودمهم واموالهم وصاعهم ومدهم وعددهم"

وذکر فی معجم البلدان روایة بزیادة "ان لهم ارضهم واموالهم لایتعرضون فی شیء منها" وانت تعلم ما لعمر الفاروق من العنایة والشدة فی وفاء العهد باهل الذمة وغیرهم ومع عهده بانهم لا یتعرضون فی شیء من اموالهم وکل ما تحت ایدیهم کیف کان یتعرض لخزانة کتبهم التی هی من انفس ذخائرهم واغلاها

اعلم انّ مسئلة احراق الخزانة الاسكندرية موضوعٌ مهم عند اهل اوربا وقد طال البحث فيه اثباتاً ونفياً وممّن الّم بهذا البحث اجمالاً وتفصيلاً المعلم وايت والمعلم دساسی الفرنساوی فی ترجمة كتاب الافادة والاعتبار وواشنگتن ارونگ ودريپر الاميركانی صاحب كتاب الجدال بين العلم والدين وكرچٹن وسيديو الفاضل الشهير الفرنساوی فی تاريخ الاسلام والمعلم رينان الفيلسوف الفرنساوی فی خطبة الاسلام والعلم، وارتمر گلبين، وللمعلم كريل الالمانی رسالةٌ مستقلةٌ فی هذا البحث قدّمها فی المؤتمر الشرقی الّذی انعقد سنة ۱۸۷۰م، اَوردَ فيها كل ما كتب الباحثون فی هذا البحث نفياً واثباتاً وقد طالعت كل هذه المباحثات والمقالات وعملتُ رسالةً فی لسان الاردو وترجمت الی الانكليزية ثم الی العربية ترجمها احد من اهل الشام وطُبِعَ شطر منها فی جريدة ثمرات الفنون، وبمجلة المقتبس،

والحاصل ان محققی اهل اوربا قضوا بانّ الواقعة غير ثابتة اصلاً منهم جيبن المؤرخ الشهير الانكليزی ودريبر الاميركانی وسيديو الفرنساوی وكريل الالمانی والمعلم رينان الفرنساوی عمدتهم فی انكار ذلك امران الاول انّ الواقعة ليس لها عينٌ ولا اثر فی كتب التاريخ الموثوقة بها كالطبری و ابن الاثير والبلاذری وغيرها مما مرّ ذكرها واول من ذكرها عبد اللطيف و القفطی وهما من رجال القرن السادس والسابع ولم يذكرا مصدراً للرواية

ولاسند- والثانی ان الخزانة کان ضاعت قبل الاسلام اثبتوا ذلك بدلائل لایمکن انکارها،

قال المؤلف،

"قلنا فیما تقدم ان الخلفاء الراشدین کانوا یخافون الحضارة علی العرب×× ولذلك منعوهم من تدوین الکتب×× وکان هذا الاعتقاد ناشئا فی الصحابة والتابعین وتمسّك به جماعة من کبارهم وکانوا اذا سئلوا التدوین علیهم ابوا واستنکفوا (الجزء الرابع صفحة ٥٠)

اطال المؤلف ونقل اقوالا عدیدة فی ثبات ان الخلفاء الراشدین و الصحابة کانوا یمنعون الناس عن الکتابة والتالیف ونحن لاننکر انّ هذا کان مذهبا لبعض الصحابة والتابعین ولکنّ الّذین رخّصوا فی ذلك وامروا بالکتابة والتدوین اکثرهم عددا وارجحهم میزانا واوسعهم نفوذا وقد عقد المحدّث المشهور القاضی ابن عبد البر فی کتابه جامع بیان العلم (انظر صفحة ٣٦ طبع المصر) بابا فی ثبات ذلك ونحن ننقل شطرا منها، قال "وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم قیّدو العلم بالکتاب وعن عبد الملك بن سفیان عن عمه انه سمع عمر بن الخطاب یقول قیّدو العلم بالکتاب وعن معن قال اخرج الی عبد الرحمن ابن عبد الله بن مسعود کتابا وحلف لی انه خط ابیه بیده وعن ابی بکر قال سمعت الضحاك یقول اذا سمعت شیئا فاکتبه ولو فی حائطٍ وعن سعید بن جبیر انه کان

یکون مع ابن عباس فیسمع منہ الحدیث فیکتبہ فی واسطۃ الرحل فاذا نزل
نسخہ وعن ابی قلابۃ قال الکتاب احب الینا من النسیان وعن ابی ملیح قال
یعیبون علینا الکتاب وقد قال اللہ علمہا عند ربی فی کتاب، وعن عطاء عن
عبداللہ بن عمرو قلت یارسول اللہ أأقیّد العلم قال قید العلم قال عطاء
قلت وما تقیید العلم قال الکتاب وعن عبدالعزیز بن محمد الدراوردی
قال اول من دون العلم وکتبہ ابن شہاب وعن عبدالرحمان بن ابی الزناد
عن ابیہ قال کنا نکتب الحلال والحرام وکان ابن شہاب یکتب کلما سمع فلما
احتیج الیہ علمت انہ اعلم الناس وعن سوادۃ بن حیان قال سمعت معاویۃ
بن قرۃ یقول من لم یکتب العلم فلا تعدوہ عالما وعن محمد بن علی قال
سمعت خالد بن خداش البغدادی، قال ودعت مالک بن انس فقلت
یا ابا عبداللہ اوصنی قال علیک بتقوی اللہ فی السر والعلانیۃ والنصح لکل
مسلم وکتابۃ العلم من عند اہلہ وعن الحسن انہ کان لایری بکتاب العلم باسا
وقد کان املی التفسیر فکتب وعن الاعمش قال قال الحسن ان لنا کتبا
نتعاہدہا وقال الخلیل بن احمد اجعل ما تکتب بیت مال وما فی صدرک
للنفقۃ وعن ہشام بن عروۃ عن ابیہ انہ احترقت کتبہ یوم الحرّۃ
وکان یقول وددت لو ان عندی کتبی باہلی ومالی وعن سلیمان
بن موسی قال یجلس الی العالم ثلاثۃ رجل یاخذ کل ما سمع فذلک

حاطب ليل ورجلٌ لايكتب ويستمع فذلك يقال له جليس العالم ورجل
ينتهي وهو خيرهم وهذا هو العالم وعن اسحٰق بن منصور قال قلت لاحمد
بن حنبل من كره كتابة العلم قال كرهه قومٌ ورخّص فيه آخرون قلت له
لولم يكتب العلم لذهب قال نعم لولا كتابة العلم اىُّ شئٍ كنّا نحن قال اسحق و
سالتُ اسحٰق بن راهويه فقال كما قال احمد سواء وعن حاتم الفاخر و
كان ثقة قال سمعت سفيان الثوري يقول انى احب ان اكتب الحديث
على ثلاثة اوجهٍ حديث اكتبه اريد ان اتخذ دينا وحديث رجل اكتبه
فاوقفه لا اطرحه ولا ادين به وحديث رجل ضعيف احب ان اعرفه
ولا اعبأ به وقال الاوزاعى تعلّم مالا يوخذ به كما تتعلم ما يوخذ به و
عن سعد بن ابراهيم قال امرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن
فكتبناها دفترًا دفترًا فبعث الى كل ارضٍ له عليها سلطانٌ دفترا وعن
ابى زرعة قال سمعت احمد بن حنبل ويحيى بن معين يقولان كل من
لا يكتب العلم لا يومن عليه الغلط وعن الزهرى قال كنا نكره كتاب العلم
حتى اكرهنا عليه هؤلاء الامراء فراينا ان لا نمنعه احدا من المسلمين وذكر
المبرد قال قال الخليل بن احمد ما سمعت شيئًا الا كتبته ولا كتبته الا حفظته ولا حفظته الا نفعنى

الضغط على اهل الذمة

ادعى المولف ان عمر بن الخطاب كتب
عهدًا لنصارى اهل الشام وذكر نصه منقولا عن سراج الملوك للطرطوشى

واعترف بان فيه ضغطاً على النصارى ثم اعتذر لعمر بان نصارى الشام كانوا يميلون الى قيصر الروم وكانوا من بطانته يتجسسون له فلذلك احتيج الى الشدة بهم والتضييق عليهم،

كلّ من له ادنى مسكة فى التاريخ يعرف انّ **الطرطوشى** ليس من رجال التاريخ وكتابه كتاب ادب وسياسة لاكتاب تاريخ وهو من رجال القرن السادس وانما المعوّل فى هذا البحث المصادر القديمة الموثوقة بها كتاريخ الطبرى والبلاذرى واليعقوبى وابن الاثير وغيرها وهذا ما كان يخفى على المولف ولكن لاجل هوى نفسه اعرض عن كل هذه وتشبث برواية واهية تخالف الروايات الصحيحة المذكورة باسنادها ورجالها، قال القاضى ابو يوسف وهو مع كونه من رجال الفقه عارف بالمغازى والسّير بعد ما نقل عهد نصارى الشام وليس فيه ادنى ضغط عليهم ولا شدة بهم،

"فلما راى اهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاروا اشدّاء على عدوّ المسلمين وعونا للمسلمين على اعدائهم فبعث اهل كل مدينة رسلهم ممن جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجالا من قبلهم يتجسّسون الاخبار عن الروم وعن ملكهم وما يريدون ان يصنعوا فاتى اهل كل مدينة رسلهم يخبرونهم بانّ الروم قد جمعوا جمعا ×× فكتب ابو عبيدة الى كل وال ممن خلفه فى المدن التى صالح اهلها يامرهم ان يردوا عليهم ما جبى منهم من الجزية

والخراج وكتب اليهم ان يقولوا لهم انما رددنا عليكم اموالكم لانه قد بلغنا
انه جمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك
وقد رددنا عليكم ما اخذنا عنكم، فلما قالوا ذلك لهم وردوا عليهم الاموال
التي جبوها منهم قالوا ردكم الله علينا ونصركم عليهم فلو كانوا هم لم يردوا
علينا شيئًا واخذوا كل شئ بقي لنا حتى لا يدعوا شيئًا (كتاب الخراج طبع مصر صفحہ ۸۰ و ۸۱)

فانظر الى هذا العدل الذي عجز البشر عن ايتان مثله واعتراف اهل الذمة
بذلك والى قول المولف ان عمر ضغط عليهم وانما ضغط لانهم كانوا من جواسيس الروم،

تاريخ العلوم الاسلامية | اما تاريخ العلوم الاسلامية والتقريظ عليها فقد فقدنا
اليوم في ملتنا من يقوم بهذا العبأ فكيف برجل دخيل فينا مزجاة البضاعة قليل
المعرفة لا يعرف من علومنا الا اسماء التقاها من ظواهر الكتب وافواه العامة فاذا
تكلم عن شئ منها خبط وخلط وهاك امثلة من ذلك قال "وكان المسلمون غير العرب
هناك اكثرهم الفرس وهم اهل تمدن وعلم فعمدوا الى استخدام القياس العقلي في استخراج
احكام الفقه من القرآن والحديث فخالفوا بذلك اهل المدينة لانهم كانوا اشد يدى
التمسك بالتقليد" (الجزء الثالث ص١٧) ظن الرجل ان استخدام القياس والراي من
مبتدعات الفرس مع ان اول من سمي بهذا الاسم هو **ربيعة الراي** صرح بذلك
السمعاني في الانساب وهو من اهل **المدينة** وممن اخذ عنه الامام مالك، وان
المالك رض والشافعي رض وابا يوسف رض والامام محمد رض كلهم يستعملون القياس مع كونهم

من العرب اَرُومةً وموطناً واداةً وانّ الفارق بين اصحاب الرأى والحديث ليس استعمال القياس وفصل القضية فى ذلك تجده فى كتاب حجة الله البالغة لشاه ولى الله الدهلوى من متاخرى حكماء الاسلام۔ ثم قال المولف "فكان من جملة مساعى المنصور فى تصغير امر المدينة وفقهائها وخصوصاً مالك بعد ان افتى بخلع بيعته انّه نصر فقهاء العراق القائلين بالقياس وكان كبيرهم يومئذ ابا حنيفة النعمان فى الكوفة فاستقدمه المنصور الى بغداد واكرمه وعزز مذهبه،،

ظلمات بعضها فوق بعض، ما كان ابو حنيفة ارفع مكانة عند المنصور من مالك فان ابا حنيفة كان هواه مع ابراهيم الخارج على المنصور وكان افتى بنصرة ابراهيم ولذلك اراد المنصور المكيدة به فاستدعاه وعرض عليه القضاء ولما لم يرض به سجنه وامر بضربه حتى مات فى السجن، اما ما قال عن تصغير امر الامام مالك فيخالف الروايات الصحيحة الثابتة قال القاضى بن عبد البرّ فى كتاب جامع العلم (صفحہ ٦٧) عن محمد بن عمر قال سمعت مالك بن انس يقول لما حج ابو جعفر المنصور دعانى فدخلت عليه فحدثته وسالنى فاجبته فقال انى عزمت ان آمر بكتبك هذه التى وضعتها يعنى الموطاء فينسخ نسخاً ثم ابعث الى كل مصر من امصار المسلمين منها نسخة و آمرهم ان يعملوا بما فيها لا يتعدوها الى غيرها ويدعوا ما سوى ذلك من هذا العلم المحدث فانى رايت اصل هذا العلم رواية اهل المدينة وعلمهم الخ۔

قال "وكان ابو حنيفة لا يحب العرب ولا العربية حتى انه لم يكن يحسن الاعراب ولا يبالى به

(الجزء الثالث صفحہ ١١ء مستندا بابن خلکان) نعوذ باللہ من هذا الکذب الظاهر والمین الفاحش، استشهد المؤلف فی هذه الواقعة بابن خلکان والحال ان ابن خلکان ذکر فی تاریخه فی ترجمة ابی حنیفة بعد ذکر محاسنه ان الخطیب البغدادی اطال فی مثالب ابی حنیفة ثم انکر علیه ذلك وقال ما کان یعاب ابو حنیفة الا بقلة العربیة فانه قال ولو رماه بابا قیس ثم اعتذر له بنوع من العذر ولیس فیه اقل شئ یومی الی ان ابا حنیفة کان لا یحب العرب والعربیة، ثم ان ابا حنیفة کان ناقما علی العباسیة المحامین للفرس وکان من شیعة زید الامام ابن الامام زین العابدین وکان تلمیذ للحماد وهو تلمیذ الابراهیم النخعی وکلهم عرب - ثم اصحابه الملازمون له الناشرون لفقهه والقائمون بدعوته ای ابا یوسف ومحمدا وزفر کلهم عرب، اما لحن ابی حنیفة فمعلوم انه عجمی وکم من الاعجام الذین هم رؤس الادب فی وجوه العربیة کحماد الراویة وغیره کانوا یلحنون وکان هذا طبیعتهم وغریزتهم،

فمن کان هذا مبلغه من العلم ومحله من النظر هل یصلح لسلوك هذا الطریق الوعر والخوض فی غمار هذا البحث الدقیق الذی یحتاج الی التضلع فی العلوم الاسلامیة والتوسع فیها مع سعة النظر ووفرة المواد واصابة الرای فی شدة الفحص وافراغ الجهد وتکمیل الادوات ثم ان الرجل ههنا هو الرجل الذی عرفناه قبل ذلك فی سوء طویته وکامن حقده وتحامله علی العرب فی اعتیاده بالتحریف فی ترجمته بسوء التاول فی تلبیس الکلام وهاك امثلة من هذه،

قال (تحت عنوان الفقه) فلما افضى الامر الى بنى العباس واراد المنصور تصغير العرب واعظام امر الفرس لانهم انصارهم واهل دولتهم كان من جملة مساعيه فى ذلك تحويل انظار المسلمين عن الحرمين فبنى بناءً سماه القبة الخضراء حجاً للناس وقطع الميرة عن الحرمين وفقيه المدينة يومئذ الامام مالك الشهير فاستفتاه اهلها فى امر المنصور فافتى لهم بخلع بيعته (الجزء الثالث صفحة ٧١)

وهذا كله كذبٌ واختلاقٌ والمنصور ابعد محلا وابرءُ ساحة من ان يبنى بناءً ارغاماً للكعبة وقد سبق لنا الكلام فيه فاما قطع الميرة عن المدينة فلم يكن الا حجرا على محمد وتضييقا عليه لما قام بالخلافة وقد صرّح بذلك المقريزى (الجزء الثانى صفحة ١٤٣) فقال "وذكر البلاذرى ان ابا جعفر المنصور لما ورد عليه قيام محمد بن عبد الله قال تكتب الساعة الى مصر ان تقطع الميرة عن اهل الحرمين والامام مالك كان هواه مع محمد يحرض الناس على موازرته وافتى بخلع بيعة المنصور" فانظر كيف قلب المولف الحكاية وصرفها عن وجهها فخروج محمد وافتاء الامام مالك متقدمان على قطع الميرة عن المدينة وخروج محمد هو السبب فى قطع الميرة والمولف يقول ان قطع الميرة انما كان ارغاماً للحرمين وان الامام مالك افتى لذلك بخلع بيعته-

قال المولف بعد ما ذكر رغبة بنى امية فى الشعر وتنشيطهم للناس (تحت عنوان الشعر وبنو امية) وقد يتبادر الى الاذهان انهم كانوا يفعلون ذلك رغبة فى الادب وتنشيطا لاهله لان الشعر سجيةٌ فى العرب ودولة الامويين عربية

بحتة ولكن الاغلب انهم كانوا يفعلونه للاستعانة بالسنة الشعراء على مقاومة اهل البيت الخ (الجزء الثالث صفحه ١٠٢) فانظر الى هذا التحامل المفرط والحيف الشديد فانه لما لم يجد سبيلا الى انكار ما لبنى امية من الايادى فى ترويج سوق الادب فى رفع منار الشعر والاخذ بناصر علماء العربية واعطاء الصلات المتكاثرة للشعراء احتال لدفعه بابداء احتمال انهم كانوا مدفوعين الى ذلك سياسةً،

قال وقد تقدم فى كلامنا عن الفقهاء ان المنصور اخذ بناصر اصحاب الراى والقياس واستقدم اباحنيفة الى بغداد ونشطه لهذه الغاية وظل الميلُ الى القياس متواصلا فى بنى العباس والاعتزال قرب المذاهب الى اصحاب الراى الخ (الجزء الثالث صفحة ١٤٠) انظر الى ما بلغ به حال المؤلف فى جهله بالمعارف الاسلامية حتى انه يقرن بين الاعتزال والراى ويعدهما من جنس واحد ولم يدر المسكين ان لا رابط بينهما فان الاعتزال احد المذاهب الكلامية والراى والقياس من احد اصول الفقه ومعظم اصحاب الراى والقياس بل كلهم (الا الشاذ النادر منهم) كابى حنيفة ومحمد وابى يوسف وزفر وابى لولو والطحاوى والخصاف وابى بكر الرازى والدبوسى وغيرهم كانوا ناقمين على الاعتزالُ كانوا يعدّون المعتزلة من اهل الاهواء والضلالة،

قالُ فلما افضت الخلافة الى المامون فاخذ بناصر اشياعه وصرح باقوالٍ لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفا من غضب الفقهاء وفى جملتها القول

بخلق القرآن ای انه غیر منزل (الجزء الثالث صفحة ۱۴۱)،

وهل یکون کذب اعظم من هذا فان خلق القرآن اوقدمه لامساس له بالتنزیل اوعدمه فان الاختلاف فی ان هل الکلام صفة حادثه تقوم بالله تعالی وهو صفة قدیمة **فالمعتزلة** قالوا بحدوثه حذرا من تعدد القدماء واهل السنة وغیرهم قالوا بقدمه لان الحادث لایقوم بقدیم فاما ان القرآن کلام الله تعالی منزل الی الرسول فهذا لایختلف فیه اثنان۔

قال واما الفلسفة بحد ذاتها فقد کان اصحابها متهمین بالکفر وکان الانتساب الیها مرادفا للانتساب الی التعطیل وقد شاع ذلک فی **بغداد** بین العامة حتی فی ایام المامون ولذلک سماه بعضهم امیر الکافرین (الجزء الثالث صفحة ۱۷۷) استشهد المولف فی هذا القول بالیعقوبی ونحن ننقل عبارته حتی تعرف مقدار خدیعة المولف، قال الیعقوبی "وشخص هرثمة من العراق الی مرو سنة ۲۰۱ وقیل له انصرف بغیر اذن من المامون فلما دخل علی المامون ××× قال من نقرس ولا یمکننی مشی فی محفة ××× وکلم المامون بکلام علیه ودخل معه یحیی بن عامر ابن اسمعیل الحارثی فقال السلام علیک یا امیر الکافرین فاخذته السیوف فی مجلس المامون حتی قتل فقال هرثمة قدمت هذه المجوس علی اولیاءک وانصارک واتوا محمد بن صالح بن المنصور فقالوا نحن انصارد ولتکم وقد خشینا ان تذهب هذه الدولة بما حدث فیها من تدبیر المجوس"، (الیعقوبی صفحة ۵۴۶ و ۵۴۷)

ان المامون استوزر حسن بن سهل وكان مجوسيا اسلم فنقم العرب على المامون و
قالوا انك قدمت المجوس و قال له يحيى السلام عليك يا امير الكافرين فهذا كله من
السياسة لا مساس لها بالفلسفة والاعتزال و ابن هرثمة و يحي بن عامر الحارثي من
اهل الجند ما عرفا الفلسفة ولا سمعا بها،

قال المؤلف " ولكن الاسلام كان اقرب الى اطلاق حرية الفكر والقول
وخصوصا فى وائله فلم يكن احدهم يستنكف من ابداء ما يخطر له ولو كان مخالفا
لراى الخليفة و لذلك كثرت الفرق الاسلامية يومئذ و تعددت مذاهب اصحابها
فى القراءة والتفسير و الفقه و فى كل شئ حتى ذهب بعضهم الى ان سورة يوسف
ليست من القرآن لانها قصة من القصص و القائلون بذلك العجاردة (الجزء
الثالث صفحة ٦١) انظر الى هذه الخديعة يمدح الاسلام بكونه اقرب الى حرية
الفكر و يدس فيه ان بعض الطوائف الاسلامية كانت تنكر ان سورة يوسف
من القرآن وهم العجاردة يوهم بذلك ان العجاردة فرقة من الفرق الاسلامية وان انكار بعض سور
القرآن كان مذهبا من مذاهب الاسلام مع ان العجاردة وهم حماد عجرد
واثنان اخران معروفين بالالحاد والزندقة والمروق عن الاسلام ذكرهم
ابن خلكان والشهرستانى وغيرهما،